جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

إستراتيجيات الوصف ووظائفه بين سلطة الخطاب و البعد الاجتماعي (مسرواية بنك القلق لتوفيق الحكيم نموذجا)

الدكتورة

صبـــاح صـــابر حســـين

أستاذ العلوم اللغوية المساعد - كلية البنات للآداب والعلوم والتربية-
جامعة عين شمس

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص البحث

إستراتيجيات الوصف ووظائفه بين سلطة الخطاب و البعد الاجتماعي (مسرواية بنك القلق لتوفيق الحكيم نموذجـا)

يهدف هذا البحث المعنون بـــ"إستراتيجيات الوصف ووظائفه بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعي؛ "مسرواية بنك القلق لتوفيق الحكيم نموذجـــاً" إلى تقديم تصور نقدي لغوي للوصف في الخطاب الأدبي، وإبراز وظيفة التشكيل اللغوي، وما ينطوي عليه من منظومة دلالية ومقاصديّة، في توجيهه توجيهًا يُظهر البعد الاجتماعي، الذي يقصده المرسل؛ انطلاقـــاً مما يتمتع به الوصف من أثر جَلِيّ في العمل الأدبي بوصفه من التقنيات الفاعلة فيه، سواء أكان وصفـــاً للشخصيات أم وصفًا للأحداث أم انتقل الوصف إلى كشف فضاء الحدث ومكوناته أم بوحـــاً بالحالة العامة.

و تنهض معالجة إشكالية هذا البحث على مقدمة و مدخل ومبحثين وخاتمة.

• المقدمة: وفيها عرضٌ للهدف من هذا الموضوع، وأسباب اختياره والتساؤلات البحثية التي يروم الإجابة عنها، ومنهج البحث وخطته.

• مدخل: وقد تضمن عرضًا موجزًا، ألقى الضوء على الوصف وأهميته في العمل الأدبي عند النقاد القدامى والمحدثين، كما تضمن إشارة سريعة إلى سمات اللغة الواصفة في العمل الأدبي، والاتجاهات الثلاثة التي تبنّاها النقاد والكتَّاب العرب للغة في العمل الأدبي، وأخيرًا تضمن التمهيد نبذة موجزة عن مسرواية (بنك القلق) موضوع الدراسة، وإشارات لأبرز أحداثها وشخصياتها، ثم عرضًا لرأي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في نشرها من واقع ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل. أما جوهر إشكاليّة البحث؛ فستعالج في مبحثين على النحو الآتي:

• المبحث الأول: وجاء عنوانه: إستراتيجيات الوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعي.

• المبحث الثاني، و عنوانه: الوظائف الاتصالية للوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعي.

أما الخاتمة؛ فجاءت راصدة لأهم نتائج هذا البحث مع عدد من التوصيات، التي قد تكون إضاءة مستقبلية لمزيد من المشاريع البحثية التي ترتبط بقضية هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الوصف ؛ الاتصال؛ إستراتيجية؛ البُعد الاجتماعي؛ الخطاب؛ مسرواية بنك القلق.

✍ الدكتورة / صبـــاح صـــابر حســـين
أستاذ العلوم اللغوية المساعد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية- جامعة عين شمس

Abstract :

Strategies of Description and its functions between the authority of discourse and the social dimension
"The Bank of Anxiety"by Tawfiq al-Hakim as a Model

This research, that is entitled " Strategies of Description and its functions between the authority of discourse and the social dimension: "The Bank of Anxiety" by Tawfiq al-Hakim as a Model", aims to provide a critical linguistic conception of the description in the literary discourse, and to highlight the function of linguistic composition, and the semantic and objective system involved, in guiding it. The social dimension, intended by the sender, demonstrates the overall impact of the description on literary work as an effective technique, whether it be a description of the characters, a description of events, a description of the event's space and components, or an overview of the general situation.

The problem of this research is based on an introduction, a preface, two sections and a conclusion.

- Introduction: A presentation of the purpose of this topic, the reasons for its selection, the research questions to be answered, and the research methodology and plan.

- Preface: It included a brief presentation, which highlighted the description and its importance in the literary work of old and modern critics, a quick reference to the characteristics of the language described in the literary work, the three trends espoused by Arab critics and writers of language in the literary work, and finally the introduction included a brief overview of the study's subject, references to its most prominent events and personalities, and a presentation of the opinion of the late President Gamal Abdel Nasser in his publication from the work of Mr. Hassnien Heikal.

The essence of research will be treated in two sections, as follows:

- The first section: Strategies for description between the authority of speech and the social dimension

- The second section, entitled: The communicative functions of the description between the authority of speech and the social dimension.

- The conclusion was a follow-up to the most important results of this research with a number of recommendations, which may be future lighting for further research projects related to the issue of this research.

Keywords: Communication; Strategy; Social Dimension; Discourse; Anxiety Bank; Description.

Dr. Sabah Saber
Assist. Professor of LinguisticSciences
Fac. of Arts, Science and Education - Ain Shams University
E.mail: sabah.saber@women.asu.edu.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يهدف هذا البحث إلى تقديم تصور نقدي لغوي للوصف في الخطاب الأدبي، وإبراز وظيفة التشكيل اللغوي، وما ينطوي عليه من منظومة دلاليّة ومقاصديّة، في توجيهه توجيهًا يُظهر البعد الاجتماعي، الذي يقصده المرسل؛ انطلاقاً مما يتمتع به الوصف من أثر جَلِيّ في العمل الأدبي بوصفه من التقنيات الفاعلة فيه، سواء أكان وصفاً للشخصيات أم وصفاً للأحداث، أم انتقل الوصف إلى كشف فضاء الحدث ومكوناته أم بوحاً بالحالة العامة.

و تسعى هذه المعالجة اللغوية إلى الخروج عن النسق التقليدي؛ إذ لم يحظ الوصف بعناية اللغويين بالقدر- نفسه- الذي حظي به لدى الأدباء والنقاد ؛ لذا آثرت تناول الوصف في هذا العمل الأدبي في بُعديه اللغوي و الاجتماعي على حدٍ سواء ؛ مستعينةً بالآليات اللغوية المتنوعة و الدقيقة و المتلاحمة، التي شكّلت هذا العمل الأدبي ونسجته؛ فمكنت الكاتب من إظهار هدفه و مقصده الخطابي، وكذلك البعد الاجتماعي، الذي يرمي إلى إيصاله لمتلقيه سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة تلميحيّة، ولا سيما أن هذا النص الأدبي يعالج مشكلات المجتمع في حقبة زمنية بعينها، و هذا من شأنه أن يحقق تواصلاً ناجحاً و فعَّالاً بين طرفي العملية التخاطبية .

فالآليات اللغوية المتنوعة تنطوي على منظومة دلالية و مقاصدية خاصة، توضح فكرة العمل الأدبي، و توصلها إلى المتلقي واضحة، كما تميزه عن غيره من الأعمال الأدبية الأخرى، ولعل هذا من أبرز أسباب اختياري لهذا الموضوع، فضلًا عمَّا يأتي:

- الإسهام بدراسة لسانية تطبيقية، تتخذ الوصف منطلقاً بوصفه تقنية فاعلة في العمل الأدبي؛ للكشف عن وظيفة سلطة الخطاب اللغوية في إبراز ماهيّة الوصف و البعد الاجتماعي له.

●ما لاحظته من حجاجيّة الوصف في هذا العمل الأدبي؛ المؤسس على توظيف اللغة وعناصرها؛ فهو بمنزلة الدليل العقلي والمنطقي على مقصد الكاتب،وهذا من شأنه أن يجعل المتلقي أكثر اقتناعاً وتصديقاً للفكرة التي يعرضها الكاتب؛ فيندمج فكريًّا ووجدانيًّا مع تفاصيلها، ومن ثمَّ يزداد تفاعلاً مع النص وإدراكاً لأسراره.

●ما يسترعي الانتباه أن الوصف في هذا العمل الأدبي -على وجه الخصوص- جاء أقرب ما يكون إلى الحقيقة؛ لأن كاتبه عايش تلك الفترة التي أعقبت ثورة ١٩٥٢م، التي تمثل المحدد الزمني لهذا العمل الأدبي؛ فتميز وصفه بالصدق، حتى مع ارتفاع دلالاته عن الواقع المعيش أحيانا باستخدامه إستراتيجية التلميح؛ مما جعل متلقيه أكثر اقتناعاً واجتهادًا – في الوقت ذاته- في إدراك مقاصد المرسل، التي تكمن خلف العبارات والأطر الدلالية داخل عمله الأدبي.

●توافق خصوصيّة اللغة في العمل الأدبي مع خصوصيّة الظاهرة؛ إذ تتميز بقدر كبير من التلميح، والسخرية اللاذعة أحياناً؛ والمزج بين الفصحى والعامية وفقا لما يقتضيه المقام؛ فأعانته هذه اللغة على إبراز أهم ملامح الشخصية المصرية، وأبرز الأحداث آنذاك، كما ساعدت المتلقين- بدرجاتهم الاستيعابية المتفاوتة- على إدراك مقاصد المرسل، وفهم أسرار النص بأسهل الطرائق وأقربها إليه.

●ما يلفت الانتباه في هذه المعالجة هو دقة الوصف ورصده تفاصيل الموصوف ودقائقه؛ مما يجعل القاريء يوظف كل جوارحه، ويتعايش مع هذا الوصف في كل مايخصُّ الموصوف؛ فهو وصفٌ دقيقٌ وشامل سواء أكان الموصوف شخصًا أم حدثاً أم مكاناً أم غير ذلك.

وقد وقع الاختيار على مسرواية (بنك القلق) لتوفيق الحكيم بوصفها خطاباً أدبياًّ يلقي الضوء على أبرز ملامح المجتمع في تلك الفترة الزمنية، والكشف عن تداعياتها على المجتمع بأسره؛ فجُلُّ الدراسات التطبيقية اللغوية في هذا المجال اتخذت الخطاب الإعلامي والخطاب السياسي، وعلاقتهما بالمجتمع

منطلقـــاً لها، فضلا عن خلو الدراسات اللغوية التطبيقية من أية دراســـة، تتخـــذ مسرواية بنك القلق حقلاً لها.

- **تساؤلات البحث**:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- هل يمكن تحليل الخطاب الأدبي بوصفه لفظـــاً مستقلاً بذاته أو بوصفه ممارسة اجتماعية وتفاعلاً موقفيـــاً؟
- هل كان لسلطة الخطاب اللغوية أثر في تعدد إستراتيجيات الوصف، وتنوعهـــا داخل العمل الأدبي أو كان لها صورة واحدة؟
- ما آليات سلطة الخطاب في تنوع الوظائف الاتصالية التي يؤديها الوصف؟
- هل الوصف في هذا العمل الأدبي يمثل نمطًا تزينيـــاً وتفسيريـــاً، أم يعد آلية إقناعية توخّاها المرسل لإيصال فكرته إلى المتلقي؟
- هل السلطة اللغوية للخطاب الواصف قادرة على إبراز البعد الاجتماعي له؟
- إلى أي مدى وُفّق المرسل في اختيار مستوى الأداء اللغوي المـــوائم للطبقـــة الاجتماعية التي تنتمي إليها شخصيات العمل الأدبي؟
- هل كان لمعايشة الكاتب للواقع الاجتماعي تأثير في صدق وصفه وإيمائه إلـــى الواقع المعيش؟
- ما الأبعاد الاجتماعية للوصف التي استهدف المرسل إيصالها إلى المتلقي؟
- هل تنوعت الآليات اللغوية التي وظفها الكاتب في وصفه أو أنه اقتصر علـــى آليات بعينها؟

- **منهج البحث**:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي بأداتيه الرصد و التحليل، وذلك في ضوء الدرس اللغوي بمكوناته و أطره الدلالية في هذا العمل الأدبي؛ مستضـــيئة في هذا التحليل بالأبعاد اللغوية المتنوعة، الخطابية والنصية و التداولية على حدٍ سواء، كما عمدتُ إلى الكشف عن وظيفة سلطة الخطاب اللغوية في إبراز البعـــد

الاجتماعي الذي يروم المرسل إيصاله لمتلقيه. وتحقيقـاً لهذا المنهج، تم الارتكاز على ما يأتي:

- التعريف ببعض المصطلحات اللغوية الجديدة، وكذا المصطلحات المتعلقة بإستراتيجيات الوصف أو وظائفه الاتصالية على حدٍ سواء.
- انتقاء مجموعة من النصوص التي تبرز الظاهرة المدروسة، وتحليلها تحليلا لغويًّا في ضوء قواعد تحليل الخطاب وآلياته؛ ومن ثمَّ استخراج النتائج التي تعضد فكرة البحث وتسلط الضوء عليها.
- توثيق ما تضمنه هذا العمل الأدبي من استشهادات بالأحاديث النبوية، والأمثال، وآراء المفسرين المسلمين في بعض القضايا الخلافيّة؛ فقد جاءت بمنزلة الآليات المنطقيّة لإقناع المتلقي كما أنها زادت الوصف مصداقيّة.

- **خطة البحث**:

ينهض هذا البحث على مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة.

- المقدمة: وفيها عرضٌ للهدف من هذا الموضوع، وأسباب اختياره والتساؤلات البحثية التي يروم الإجابة عنها، ومنهج البحث وخطته.
- المدخل: وقد تضمن عرضًا موجزًا، ألقى الضوء على الوصف وأهميته في العمل الأدبي عند النقاد القدامى والمحدثين، كما تضمن إشارة سريعة إلى سمات اللغة الواصفة في العمل الأدبي، والاتجاهات الثلاثة التي تبناها النقاد والكتَّاب العرب للغة في العمل الأدبي، وأخيرًا تضمن التمهيد نبذة موجزة عن مسرواية(بنك القلق) موضوع الدراسة، وإشارات لأبرز أحداثها وشخصياتها، ثم عرضًا لرأي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في نشرها من واقع ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل. أما إشكالية البحث؛ فستعالج في مبحثين على النحو الآتي:
- المبحث الأول: وجاء عنوانه: إستراتيجيات الوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعي. ويشمل ما يأتي:
  - ◄ أولاً: إستراتيجية تعميم الوصف

- ◄ ثانيـــاً: إستراتيجية تعميق الوصف
- ◄ ثالثـــاً: إستراتيجية الوصف المقابل
- ◄ رابعـــاً: إستراتيجية الوصف المدعم بروح الفكاهة
- ◄ خامســاً: إستراتيجية الوصف العلائقي
- ◄ سادســاً: إستراتيجية التعمية والتضليل

- ○ المبحث الثاني، و عنوانه: الوظائف الاتصالية للوصف بين ســلطة الخطــاب والبعد الاجتماعي.

ويشمل ما يأتي:

- ◄ أولاً: الوظيفة التصويرية
- ◄ ثانيـــاً: الوظيفة الإخبارية
- ◄ ثالثـــاً: الوظيفة التفسيرية
- ◄ رابعـــاً: الوظيفة الإشارية
- ◄ خامســاً: الوظيفة الإقناعية

- ○ الخاتمة: وفيها بيان بأبرز ما توصلت إليه الدراسة وتوصياتها.
- ○ قائمة المصادر والمراجع

مدخل:

يعد الوصف من التقنيات الفاعلة في العمل الأدبي، و قد أولاه النقاد القدامى و المحدثون عناية كبيرة و أبرزوا أثره الفعَّال في العمل الأدبي.و يعد قدامة بن جعفر(ت ٣١٠هـ) من النقاد القدامى الذين ألقوا الضوء على أفضل أنواع الوصف، و لا سيما في النص الشعري، فعرَّفه قائلًا : "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال و الهيئات، و لما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني . كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه، وأولاها حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته."[١].

و يحدد أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) أجود أنواع الوصف بقوله: "أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نُصْب عينيك."[٢]و يراه بعضُ النقاد المحدثين الأساس الذي تبني عليه الرواية من حيث خدمة أحداثها.[٣]و يوضح آخرون وظيفته في العمل الأدبي، و مايقوم به من أثر فعّال مع كل عناصر العمل الأدبي: "يستخدم ليقوم بدوره في تحديد إطار الحدث،و تصوير الشكل الفيزيقي للأبطال و الشخصيات الرئيسة و خلق عالم يؤكد –بفضل تشابهه مع عالم الواقع أنه لا يفعل سوى تصوير هذا الواقع و نقله، و إيضاح بعض الأفكار التي يرى الكاتب أن لها أهمية."[٤]

١- قدامة بن جعفر(ت ٣١٠هـ) – نقد الشعر– ط١- القسم الأول باب المعاني الدال عليها الشعر– نظارة المعارف– مطبعة الجوائب – القسطنطنية-١٣٠٢هـ، ص٦.

٢- أبو هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ) – كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر – تحقيق مفيد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د.ط – ص١٠٥.

٣- عبد الفتاح عثمان– بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية– مكتبة الشباب– القاهرة– ١٩٨٢– ص ٢٢٢.

٤- ثريا العسيلي – أدب عبد الرحمن الشرقاوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٥م – ص ٢٦٠ .

كما رصد أحد الباحثين[١] وظيفتين للوصف في بُعْده اللغوي .

●الوظيفة الأولى: تزيينيّة موروثة عن البلاغة التقليديّة، التي كانت تصنف الوصف ضمن زخرف الخطاب، أي كصورة أسلوبية لفظية و تعده-تأسيسًا على ذلك- مجرد وقفة أو استراحة للسرد، وليس له توظيف جمالي خالص.

●الوظيفة الثانية: تفسيريّة رمزية، تقضي أن يكون المقطع الوصفي في خدمة القصة، و عنصرًا أساسًا في العرض؛ أي أن يكون في الوقت- نفسه- سببًا و نتيجة .

و يتشكل الوصف من اللغة بدقائقها المعبرة و مستوياتها المتنوعة؛ ليكوِّن المنظومة الدلالية للعمل الأدبي؛ فاللغة هى الأداة التعبيرية التي إذا أتقنها الكاتب، ووظفها توظيفًا صحيحًا استطاع أن يرسم بها لوحة وصفية رائعة، ينقلها إلى قارئه بشكلها الحقيقي و لونها، ورائحتها، وكل ما يدخل في تشكيلها. والوصف لا يتحدد بموضوعه فحسب، "بل بما يتضمن من لغة توحي بأكثر من الحكاية، و أبعد من زمانها و مكانها و أحداثها و شخصياتها. والرواية ليست لها لبنات أخرى تقيم منها عالمها غير الكلمات، ونحن لا يمكن أن نقول شيئًا مفيدًا حول رواية ما، ما لم نهتم بالطريقة التي صنعت بها."[٢]و سهولة اللغة المشكّلة للوصف و مرونتها تعد من محدّدات جودة العمل الأدبي؛ إذ تجعله قادرًا على استيعاب عدد كبير من القرَّاء و المتلقين له، و قد سئل نجيب محفوظ عن سمات أسلوبه اللغوي في رواياته، فأجاب قائلاً: "أتوخّى عادة السهولة و اليسر؛ لأنه لا معنى إطلاقًا لأن نحمّل القاريء مسؤولية إضافية في فهم غرائب اللغة."[٣]

١- نضال محمد فتحي الشمالي – الوصف في الخطاب الروائي و أبعاده التقنية " زياد قاسم أنموذجًا"- مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية – م ٣٣- العدد (١) ٢٠٠٦ م ص٤.

٢-ثريا العسيلي- أدب عبد الرحمن الشرقاوي- ص ٢٨٧.

٣- إبراهيم الشيخ – مواقف اجتماعية وسياسية في أدب نجيب محفوظ- مكتبة الشروق- ط٣- القاهرة١٩٨٧م- ص٢٢٤-٢٢٥

وثمة اتجاهات ثلاثة تبناها النقاد والكتّاب العرب للغة التي يتشكل منها العمل الأدبي؛ وهي اتجاهات متفاوتة في توظيف اللغة تعبيريًّا وشكليًّا، وأصحاب هذه الاتجاهات لهم ما يعضِّد مذهبهم .

- الاتجاه الأول: دعا أصحابه إلى التمسك بالفصحى في الحوار كما هو الحال في السرد والوصف بحجة أن وظيفة الأدب هي أخذ الواقع وجعله عملًا أدبيًّا مفيدًا وجميلًا، ومن أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم د. طه حسين[١]

- الاتجاه الثاني: دعا أصحابه إلى استعمال العاميّة في الحوار دون السرد والوصف بحجة الواقعية في تمثيل ما تنطق به الشخصيات، ومن أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم سلامة موسى.

- أما الاتجاه الثالث؛ فعلى رأسهم توفيق الحكيم الذي حاول التوفيق بين الاتجاهين السابقين، ودعا إلى لغة وسطى؛ فصحى في المفردات وعامية في التراكيب.

- **مسرواية (بنك القلق)**

ينتمي هذا العمل إلى لون أدبي يسمى(المسرواية). وفيه يمزج الكاتب بين المسرحية والرواية. ومسرواية بنك القلق للكاتب توفيق الحكيم–الطبعة الثالثة – طبعة دار المعارف – القاهرة– ١٩٧٩م.و تتكون من مائتين وأربعين صفحة من القطع الصغير، مقسّمة إلى عشرة فصول سردية روائية، وعشرة أخرى عبارة عن مناظر حوارية مسرحية.

ومن الأهمية إلقاء الضوء على أبرز أحداث هذا العمل الأدبي وشخصياته؛ حتى يتسنّى للقاريء الكريم متابعة التحليل الخاص ببعض أُطُره الدلالية في درج البحث. فهذه المسرواية جديرة بالدراسة؛ فهي توهم بواقع عاشه المصريون في فترة حاسمة، تعد نقطة تحول في تاريخ الوطن. فهذا العمل الأدبي يعكس حال المجتمع المصري في الفترة التي تلت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؛ ويحمل رسالة حول أزمة المجتمع المصري آنذاك

١– طه حسين– فصول في الأدب والنقد– ط٤– دار المعارف – القاهرة١٩٦٩– ص١١١ وما بعدها

وترصد أبرز مشكلاته ومعاناته بقدر من النقد اللاذع الساخر للسلطة والمجتمع والعقول التي ترفض التغيير.

وتدور أحداثها حول (أدهم سليمان) ذلك الشاب المثقف، الذي أصرَّ والده الشيخ عبد الصمد أبو حواية ذلك المزارع الطيب، على إرساله إلى خاله في القاهرة؛ ليكمل تعليمه، ونجح في كل مراحل التعليم، وحينما التحق بكلية الحقوق، وبدأ يعتنق آراء غريبة، ويرى الدنيا بعينه الخاصة، وترك كلية الحقوق، ومات والده متحسرًا على تركه الكلية؛ فقد كان يحلم أن يرى ابنه من الحكام؛ بيده الأمر والنهي .

اشتغل أدهم بالصحافة ثم اعتقل ثم أفرج عنه ثم ترك العمل بالصحافة:"قالوا لي: إن جميع أخباري أؤلفها بخيالي وأنا على مكتبي، وسحبوا مني العمل وأنزلوني...مطبخ الجريدة، عمل روتيني سخيف. تركته لهم وخرجت أهيم على وجهي بكامل حريتي."[١]

وبينما هو يسير ليلاً في شوارع القاهرة متسكعاً، كما اعتاد أن يقضي معظم ليله في شوارعها حتى لا يتشرف بزيارة قاريء عداد الكهرباء في شقته العتيقة بحارة ضيقة بشارع محمد علي، بينما هو كذلك إذا به يلتقي زميلا له من أيام الدراسة الجامعية هو(شعبان جاد عوضين) ولم يكن هو الآخر أحسن حظًّا منه ؛ فقد ترك-مثله-الجامعة، وتزوج عدة مرات وفشل فيها جميعها، وهو الآن مطارد بالنفقة. يقول:".....ابتليت - والعياذ بالله- بداء النسوان. كلما أرى واحدة لا أملك أعصابي صرتُ أضم الواحدة إلى الأخرى في سبحة الزواج حتى أصبحت السبحة طويلة. كنت أسبّح بهن جميعاً[٢]...عملت في مختلف المهن والأشغال حتى الكرة. اشتغلت في نادٍ رياضي...ثم موظفاً في شركة إعلانات، ثم وكيلاً للمحامين الشرعيين؛ لأن نفقة المطلقات دوَّختني، وأخيرًا عشتُ منفردًا كما

١- بنك القلق- ص٢٨
٢- السابق- ص٢٦

ترى. ألتقط اللقمة حيث أجدها. أي لقمة. والمرأة حيث تسمح الظروف أي امرأة، ولتحيا الحرية!"[١]

وبلقاء الصديقين بدأت فكرة "بنك القلق" لدى أدهم سليمان تدخل حيز التنفيذ؛ فقد اقترح أدهم على صديقه أن يشاركه إنشاء بنك؛ ولكن ليس أي بنك، إنما هو بنك للقلق يعالج فيه الناس ؛إذ إن داء العصر ليس الإفلاس ولا السرطان ولا الأمور المعروفة إنما هو داء نفسي يصيب الروح ويضرب الأغنياء والفقراء على حدٍ سواء، وغاية هذا البنك هي معالجة الآخرين، ومعالجة الذات. في الوقت نفسه " كما تتعامل البنوك الأخرى في صنف النقود إنها تقرض وتقترض في نفس الوقت .تقرض بفائدة كبيرة، وتقترض بفائدة صغيرة ، والفرق هو مكسبها ، نحن –أيضاً– سنعالج ونتعالج في نفس الوقت نعالج بأجرٍ كبير، ونتعالج بأجرٍ أصغر، والفرق هو مكسبنا."[٢]

وشرع الشابان في تنفيذ المشروع عن اقتناع ورضا، واتخذا شقة أدهم مقرًّا له وظلا عدة أيام لم يزرهما أحد حتى ساق القدر لهما (منيرعاطف)، ذلك الوجيه الثري في الخامسة والخمسين من عمره، وزّعت الثورة أرضه على الفلاحين، ولم يبق له غير مائة فدان غير أنه" يظهر بمظهر الراضي المحبِّذ لهذا الإجراء. المتغنِّي بعدالة الإصلاح الزراعي وجعل يتحكك بالحزب الواحد الموجود. الاتحاد الاشتراكي. ولما وجد أن انضمامه إليه رسميًّا أمر متعذر بحكم القانون، اعتبر نفسه منضماً بالعقيدة والرغبة في التعاون، وسعى إلى عقد الصلات مع أمناء الاتحاد والمديرين والمحافظين وكل من له سلطة في القرية، وقد قرَّبوه بالفعل وأصبح بيته هناك مفتوحاً للجميع"[٣]، توفيت زوجته بنت أحد أعيان الريف وأم ولديه وتزوج من امرأة روميّة تقيم معه في شقته بالزمالك، وهو يكفل (ميرفت هانم) ابنة أخيه بعد وفاة أبيها، ومعها خالتها فاطمة. أبدى منير

١– السابق– ص٣٨
٢- السابق– ص٢٥–٢٦
٣– السابق ص١٢٤

عاطف إعجابه بفكرة المشروع ؛ فالقلق سائد بشكل وبائي في هذه الأيام؛ فعرض عليهما أن يدخل شريكًا مموِّلا للمشروع، ويمنحهم راتبـاً كبيرًا، كما نقـل مقـر البنك إلى شقة فاخرة له في شارع شبرا .

وافق الزميلان على هذا العرض الذي لم يكن يخطر لهما ببال.وبدأ العمـل في البنك، ودبَّت فيه الحياة وتوافدت عليه الزبائن، وأخذ الكاتـب فـي عـرض مشكلات المواطنين ومعاناتهم في هذه الفترة من خلال رسائل زبائن بنك القلق في أسلوب نقدي لاذع وسخرية متقنة وتعريض ببعض الأخطاء.

فهناك زبون يشكو من الرجعيّة التي يتنفسها في هـذا المجتمـع، وآخـر متدين يشكو من الفسق والفجور والآثام المتفشية في هذا المجتمع الكافر.

ومنهم من يشكو من نظام التعليم وسوء أوضاعه، ومن يشكو من غـلاء الأسعار والارتفاع المستمر فيها، ومن يشكو من تحمسه الزائد لفريقه الكـروي تحمسـاً عنيفـاً يصل إلى درجة المشاجرة واستخدام السلاح الأبيض في وجه كل من يختلف معه في الرأي والاتجاه، وهناك من يشكو من قلق عام مما يدور في الصحف والإذاعات والمعارك والثورات والبيض والسود والرأسمالية التي تـدمغ جبين كل من أراد التحرر من استغلالها بختم الشيوعية .

وهناك من يشكو من خلو الجو العام من مساحة كافية من الحرية للتعبيـر عن الآراء، وكذلك من يشكو من التفكك الأسري الـذي سـببه تعـدد الأحـزاب والاتجاهات داخل الأسرة الواحدة.

فضلا عن تلميح الكاتب إلى مراقبة المصريين والتجسس عليهم مـن قبـل بعض الأفراد في هذه الفترة، وقد تمثل ذلك في مراقبة (منير عـاطف) شـكاوى زبائن بنك القلق عبر الهاتف، ويطلب من (أدهم) أن يحول إلى حجرتـه الزبـائن المتذمرين من الأوضاع، مثل الزبون الناقم على الرجعية المحيطة به فـي هـذا المجتمع، والزبون شديد التدين، وكذا من يطالب بمساحة كافيـة مـن الحريـة، والزبون الذي يشكو تعدد الأحزاب في أسرته؛ ما أدى إلى كثرة التشاجر والتناحر والتفكك الأسري الفكري .

ويختم الكاتب هذا العمل الأدبي بأن يكتشف الزميلان ذلك عن طريق شعبان، الذي عثر على أشرطة تسجيل في المنزل القديم لمنير عاطف بالمعادي أثناء لقائه المنفرد بفاطمة هانم، يقول:"عثرت على علب فارغة لأشرطة تسجيل...هي بالطبع تسجيلات الركوردر. الموضوع هنا في حجرته...وإذا بهذه التسجيلات تباع ويقبض ثمنها على دفعات....تُسلم لشخص اسمه م.ي.ع، كما هو مدوَّن في ورقة وجدتها بجوار العلب. في هذه الورقة أيضاً مطالبة بإثبات عناوين الأشخاص المهتم بأمرهم..."(١)

ويتفق الزميلان على إبلاغ (البوليس) بما اكتشفوه حتى لا يمسهم أذى

" وإذا اتضح لجهات الأمن أن نشاط منير عاطف موافق عليه أو متفق عليه كان بها..وإذا كان يقوم بنشاط مريب فنحن غير مسئولين...."(٢)

"...إياك تجعل الرجل يفهم أننا كشفناه! كل شيء يجب أن يتم في السر.... اللهم أخرجنا من هذا البنك على خير!"(٣)

لقد لقي هذا العمل الأدبي اعتراضاً على نشره في البداية؛ بسبب جرأة كاتبه وتطرقه إلى موضوعات شائكة، وانتقاده لكثير من الأمور، وتصديه لمعالجتها حتى وصل الأمر إلى استفتاء الرئيس جمال عبد الناصر في نشر هذا العمل أو حظره، كما روي ذلك الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه "لمصر لا لعبد الناصر"(٤)، وفيه يسرد وقائع معينة رآها رأي العين، وكان شاهدًا عليها؛ موضحاً رأي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فيها، ومنها قصة نشر هذا العمل الأدبي الجريء الذي نحن بصدد تناوله، يقول:"أروي هذه الوقائع كلها، وأتذكر واقعة واحدة تشملها جميعاً؛ أتذكرُ أن الأستاذ توفيق الحكيم جاءني ذات يوم بقصته، كتبها تحت عنوان "بنك القلق"، وقال لي الأستاذ توفيق الحكيم وهو

١- بنك القلق ص٢٣١

٢- السابق ص٢٣٨

٣- السابق ص٢٤٠

٤- محمد حسنين هيكل – لمصر لا لعبد الناصر – مركز الأهرام للترجمة والنشر– مؤسسة الأهرام– القاهرة١٩٨٧م– ص٧٥-٧٦

يسلمني القصة: "ليست قصة للنشر...ولكن لتقرأها فقط" وقرأت القصة، وكانت نقدًا شديدًا لكل أوضاع تجاوز السلطة والمخابرات والاعتقالات والحراسات،...إلى آخره، وقررت أن أنشر، وصدر الفصل الأول من القصة فعلا وقامت القيامة، واتصل بي جمال عبد الناصر يقول لي أنه لم يقرأ ما نشرناه من قصة الأستاذ توفيق الحكيم، ويطلب عند ذهابي إليه نسخة مما نشر لكي يقرأها ؛لأن كثيرين احتجُّوا لديه على نشرها، وذهبت إليه بما نشرناه وكان عبد الحكيم عامر معه، ولم أكد أدخل حيث كانا يجلسان حتى راح عبد الحكيم عامر يهاجم نشر القصة، ويطلب وقف بقية فصولها" لأنهم جميعاً يعتبرونها تعريضاً بهم"

وقلت له: من هم الغاضبون؟

وذكر أسماء رجال أقوياء على قمة أجهزة الأمن وقتها.

وأمسك جمال عبد الناصر بفصل القصة المنشور الذي جئته به معي، وقال لعبد الحكيم عامر: "انتظر حتى أقرأه"

وراح يقرأ وعبد الحكيم عامر ينظر إليّ بين الوقت والآخر ويهز رأسه رفضاً وأنا أهز رأسي أن انتظر.

وفرغ جمال عبد الناصر من قراءته ثم التفت إليّ يقول:" إنها قاسية" وقفز عبد الحكيم عامر إلى الفرصة يقول:" يجب وقف نشرها" والتفتُ إلى ناحية جمال عبد الناصر، فإذا هو يقول بصدق وأصالة:".....إن توفيق الحكيم استطاع في العهد الملكي أن ينقد المجتمع المصري في كتابه "يوميات نائب في الأرياف" ولا أتصور في عهد الثورة أنه لا يستطيع أن ينقد ما يراه مستحقّاً للنقد في حياتنا"

ونشرت القصة كاملة – حلقات بعد حلقات وتداولها المثقفون"[١]

١- السابق.

المبحث الأول: إستراتيجيات الوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعيّ

و يقصد بها مجموعة الآليات الأساسية أو الوسائل التي تُظهر اتجاه الوصف، الذي يوضح وجهة نظر المرسل، التي يرمي إلى إيصالها للملتقي كاملة بصورة أقرب ما تكون إلى الواقع. فقد يروم الكاتب من وراء هذا الوصف إلى تعميم فكرته، وجعلها تتجاوز نطاق الذات إلى المجتمع أو تعميقها؛ فيعود بها إلى جذور زمنية أبعد. وقد يقابل فكرته بفكرة أخرى مناقضة لها؛ بُغْية إبراز كل منهما لنظيرتها، وقد يتجه الكاتب إلى تدعيم وصفه بروح فكاهة مرحة، تجذب المتلقي وتجعله في الوقت –ذاته– منتبهاً إلى الغرض الحقيقي من وراء هذا الوصف، وأحياناً يقصد من وراء وصفه إبراز التعالق بين شخصيات العمل الأدبي وأحداثه؛ لإيضاح الصورة الموصوفة في ذهن المتلقي،وأحيانا يستعين في وصفه بالسفسطة اللغوية أو إستراتيجية التضليل اللغوي لأغراض اقتضاها السياق، ستتضح في مظانّها في هذا البحث.

واللغة الوصفية بما تتضمنه من دلالات و إيحاءات وإيماءات تلميحيّة قادرة على جعل هذه الصور التخييليّة قابلة للتصديق؛ و هذا من شأنه التأثير بصورة كبرى في متلقي النص،إذ يصله الغرض الإبلاغي منه؛ فيزداد تفاعلا، واقتناعًا بمحتواه القضوي .

وللوصف في مسرواية "بنك القلق" إستراتيجيات متعددة، لعل من أبرزها ما يأتي:

أولًا : إستراتيجية التعميم:

وتحققت هذه الإستراتيجية باعتماد الكاتب على آلية (التدرج الوصفي)؛ إذ يتدرج بالوصف من نطاقه الضيق إلى نطاق أوسع عبر ممارسته لسلطة الخطاب[١]، و اتكائه التام عليها؛ ليبرز عن طريقها البعد الاجتماعي المراد إيصاله للمتلقي. فالكاتب يلقي الضوء على جانب مهم من جوانب شخصيتيّ بطلي الرواية

١– سلطة الخطاب: المقصود بها –هنا–تلك العملية التي يتمكن المرسل من ممارستها في تنظيم الإنتاج الرمزي للخطاب، والتحكم فيه بطريقة، تتيح له إيصال مقاصده إلى المرسل إليه، وبلوغ هدفه من خطابه وإظهار أبعاده المتنوعة.

(أدهم سليمان، و شعبان جاد عوضين). هذا الجانب يتعلق بحياتهما التعليمية و ما آلت إليه، و ذلك في صورة حوار انفعالي، تسيطر عليه نغمة الدهشة و التعجب من هذا اللقاء المباغت غير المتوقع للصديقين زميلي الدراسة بعد هذه الفترة الطويلة؛ إذ أخذ الصديقان يسترجعان ذكريات مضت من أيام الدراسة. فها هو (أدهم سليمان) صائحاً بدهشة:

- شعبان جاد عوضين !!!
- شعبان (بنفس الصيحة) أدهم سليمان !!!
- أدهم : صدفة سعيدة
- شعبان : صحيح والله زمان ..... سنين فاتت تجري ..... فاكر ؟
- أدهم : طبعاً فاكر ..... كلية الحقوق .... أيام لا يمكن تنسى.

وظف الكاتب في هذا الإطار الدلالي الحواري "آلية الاسترجاع "Loopback للماضي المشترك بين الزميلين، وهى أولى سلطات الخطاب، التي تمهّد للكاتب و تمكنه من الوصول إلى إستراتيجية تعميم الوصف التي يود إيصالها إلى قارئه .

فقد صار الزميلان شاهدي عيان على تلك الفترة من حياتهما، و هذا من شأنه أن يمنح الوصف صدقاً و إيهاماً بواقع كان معيشًا بالفعل، و قد دعَّم التشكيل اللغوي أو على الأصح تعبير" الفعَّالية اللغوية"[١] لهذا الحوار،وهي فعَّاليّة مكثفة صوتياًّو معجمياً و من ثم دلالياًّ، دعَّمت آلية استرجاع الماضي المشترك و ذلك عن طريق عدة وسائل لغوية لفظية أو سياقية، جاءت على النحو الآتي:

- عبارات ذات دلالة رئيسة على التذكر و الاسترجاع: "صحيح والله زمان...سنين فاتت تجري"

١- الفعّالية اللغوية أقصد بها : بلوغ الخطاب أعلى درجات التفاعل بين طرفي العملية التخاطبية

- الصيحات الانفعالية الاندهاشية ذات النغمة المرتفعة، التي تسيطر على هذا الحوار؛ بسبب اللقاء المباغت غير المتوقع للزميلين:" شعبان جاد عوضين!!!...أدهم سليمان!!!" .

- و السؤال التقريريّ: فاكر؟ والإجابة عن هذا السؤال التقريريّ- الذي يؤكد السياق أنه لا يحتاج إلى جواب- بعبارة ذات دلالة على الإيجاب" طبعاً فاكر" ؛ تؤكد القوة الإنجازية[١] و تدعم المحتوى القضوي[٢]في هذا الحوار الاسترجاعيّ.

- التكرار اللفظيّ بإعادة الصياغة لكلمة (فاكر).

- التكرار الدلالي بنفي النقيض(فاكر)و(لا يمكن تُنسى)؛ ليؤكد الزميلان أنهما يتذكران جيدًا تلك الفترة بكل ما فيها، و لا مجال لنسيان تفاصيلها، ثم يستطرد الكاتب ذاكرًا، على لسان بطلي الرواية.الأسباب التي حالت دون إكمال مسيرتهما التعليميّة، موظفاً الآلية الثانية،و هي آلية (التشابه بين حالي الصديقين)؛ ممهِّدًا لها بعبارة لجمع المتكلمين في سياق قولي واحد، جاءت على لسان أدهم سليمان:

- أدهم: كنا والله طلبة مجتهدين لكن الحظ .

- شعبان: أنت سقطت في كم مادة ؟

- أدهم: أنا لم أسقط في مواد.

- شعبان: ولا أنا .

- أدهم : يظهر أن الحال من بعضه، وما حصل لي حصل لك .

---

١ -القوة الإنجازيةهي: الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق. انظر: محمد العبد – النص والخطاب والاتصال-الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-٢٠١٤- ص ٢٨٧

٢- المقصود بالمحتوى القضوي: المعنى لأصل القضية، و يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع،و متحدث به أو خبر.

ـ انظر: محمود أحمد نحلة- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر- دار المعرفة الجامعية-٢٠٠٢- ص ٤٨.

اعتمد الكاتب في هذا الحوار على آلية (التشابه بين حالي الصديقين)؛ لتعزيز دلالة التعميم؛ وليجعلها دليلًا منطقيًّا قويًّاعلى أن إخفاقهما في دراستهما مرده إلى ظروف المجتمع، و ما آلت إليه العمليّة التعليميّة آنذاك، وليبرز البعد الاجتماعي الذي يستطيع القارئ المتأمل أن يتبينه من هذا الحوار، وقد وظف الكاتب آليات معجمية، كثَّفت الفعاليّة اللغويّة الداعمة لآلية التشابه بين حالي الصديقين و دعَّمتها، ومنها عبارات (ولا أنا)، (يظهر أن الحال من بعضه)، (ما حصل لي حصل لك)،(تمام والله).

و يستمر الكاتب مؤكدًا هذا البعد الاجتماعيّ؛ إذ نلمح منه إصرارًا على تأكيد فكرة أنهم طلبة مجتهدون، وأن إخفاقهم في التعليم مرده إلى ظروف المجتمع. وكان لسلطة الخطاب الوظيفة الرئيسة في تحقيق البعد الاجتماعي و إبرازه، وتأكيد فكرته و إيصالها إلى القارئ مكتملة الأركان؛ إذ جاء "السرد القصصي" على لسان المتكلم (أدهم سليمان)، الذي بدأه بعبارة (أقول لك)؛ تأكيدًا لمصداقية القصة التي سيسردها المتكلم بنفسه، و هذا أدعى لتصديقه و تأثيره في المتلقي، فها هو يقصُّ ساردًا الأسباب التي حالت دون إكمال دراسته، و جعلته يتركها بلا عودة ، يقول: "أقول لك: أنا يوم الامتحان ذهبت و كلي أمل و استبشار، أحمل أقلامي و أدواتي مما جميعه، و مذاكر المقرر على خير ما يكون الطالب المجد المجتهد. جلست في مقعدي و مرَّ علينا المراقب يوزع، نظرت في ورقة الأسئلة فوجدت العجب..."فالآليات اللغوية التي وظفها الكاتب في هذا السرد القصصي تقوِّيه و تدعمه و تؤكده، و تزيد المتلقي تفاعلًا مع النص، و من ثمّ اقتناعًا و تصديقًا، و منها:

- الإحالة بضمائر المتكلم بنوعيها (المتصلة و المنفصلة)؛ و هذا من شأنه توكيد حضور المتكلم؛ فالقول له و ليس لغيره، كما أن هذا أصدق إنباءً مما لو كان الكلام عنه بصيغة الغائب.
- توظيف التراكيب ذات الدلالة الكلية العامة التي لا تدع للمتلقي مجالًا للشك في صحة كلامه و سرده للأحداث، و منها العبارتان:(كليّ أملٌ) التي تحمل في

طياتها دلالة التفاؤل و الأمل التام الذي لا يشوبه نقص أو فقدان، وكذا عبارة (مما جميعه) التي توحي باكتمال أدواته المستخدمة في الامتحان و الاستعداد التام له ؛ فليس هناك نقصان في شئ قد يؤدي إلى إخفاقه فيه.

●كما وظّف الكاتب الوحدة الدلالية الإقناعيّة الرئيسة في هذا الوصف القصصي– وهي عبارة: " و مذاكر المقرر على خير ما يكون الطالب المجد المجتهد" – بما تحمله من كثافة دلالية تبرّئ قائلها من تهمة التقصير، و تقنع المتلقي و تجعله موقناً أنه لا ذنب له في ترك دراسته و إخفاقه فيها.

●كذلك كان لدلالة التشويق أثر في هذا السرد القصصي ظهر جليًّا في عبارة "فوجدت العجب"؛ مما أثار فضول المخاطب، واسترعى انتباهه متلهفاً و مترقباً و متابعاً بكل حواسه إكمال هذا السرد المشوق؛ فيسأل بلهفة و شوق:

- شعبان : ماذا وجدت ؟

- أدهم: لم أجد فيها كتابة على الإطلاق !

- شعبان: كانت خالية ؟

- أدهم : كان فيها فقط رسم ... صورة واحدة . صورة حمار بأذنين طويلتين يخرج لي لسانه !

- شعبان : عجيبة .... و ماذا حدث ؟

- أدهم: قمت بالطبع منتفضاً و صحتُ في المراقب و عرضتُ عليه الورقة و الحمار المصوَّر فيها فقال لي بكل تبجح إنها صورتي أنا .

- شعبان : أما إنه رجل سمج و بِلِط صحيح !

- أدهم: و الأكثر من ذلك أني عندما أفهمته بكل أدب أني لست واضع الامتحان، وأنه إن كانت هذه صورة أحد؛ فلا بد أنها صورة الممتحن. ما كان منه إلا أن طردني من قاعة الامتحان فخرجت بلا عودة !

ففي هذا الحوار بلغت " الفعَّالية اللغوية" أعلى معدلاتها؛ فقد جاء تشكيله اللغوي في صورة سؤال وجواب، و هو أقرب إلى المنطقيّة الحجاجيّة؛ بغية تزويد المتلقي بالأدلة و الحُجج المنطقيّة؛ لإقناعه. فقد جاءت أسئلة المتكلم

حقيقية و متوقعة ومنطقية (ماذا وجدت ؟) غير أن جواب المخاطب – الذي أصبح متكلمـاً؛ حيث يتبادل الطرفان دوريهما ما بين متكلم و مخاطـب – يبـدو فـي ظاهره أنه خرق الكيفية التي ينبغي أن يأتي عليها (وهي إحـدى قواعـد مبـدأ التعاون الحواري)[١]؛ إذ نفى نفيـاً قاطعـاً وجود كتابة في ورقة الامتحان، بينما لا يخفى على القارئ المتأمل توظيـف الكاتـب للإسـتراتيجية التلميحيـة[٢]؛ فاستعمال عبارة (حمار بأذنين) وما تحمله من دلالة "اللاوعي" المهيمنـة علـى طريقة وضع الامتحان كانت سببـاً في إخفاقه. ليس هذا فحسب، بل إن المعلم – نفسه– كذلك؛ كان سببا في إخفاق الطالب وخروجه من قاعة الامتحان بلا عودة.

فقد تمكن الكاتب، بهذا الحوار الوصفي التلميحي في مجملـه، مـن إلقـاء الضوء على العمليّة التعليميّة وحال التعليم آنذاك؛ بوصفه شـاهدًا علـى الواقـع ومعايشـاً له، وأظهر أن الطرفين المتحاورين ضحيتان لمنظومة تعليميّة متكاملة، وليمهد بذلك لهدفه الخطابي من هذا الوصف وهو تعميم فكرته؛ لتخرج فكرته – عن طريق ممارسة سلطة الخطاب– إلى نطاق أوسع وأشمل ولا تكون مقتصـرة على الزميلين فحسب ؛فقد كان الكاتب في هذا العمل الأدبي، عمومـاً، شغوفـاً بإلقاء الضوء على الجوانب التعليميّة من حياة شخصياته الرئيسة أو الثانويـة ، على حدٍّ سواء، وإخفاقهم فيها، وإن اختلفت أسباب الإخفاق.[٣]

و يعرض الكاتب أسباب إخفاق الطرف الآخر من الحـوار، وهـو زميلـه (شعبان جاد عوضين) في دراسته، تلك الأسباب التي حالت دون إتمـام مسـيرته التعليميّة ؛ممارسـاً سلطة خطابيّة تدعم دلالة التشـابه بـين حـالي الصـديقين وتؤكدها؛ فيقول مجيبـاً عن سؤال أدهم:

١– العياشي أدراوي – الاستلزام الحواري في التداول اللساني–ط١ – منشورات الاختلاف – الربـاط ٢٠١١م – ص٩٩

٢– هي الإستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه ؛ فيعبر عنه بغير ما يقف عنـده اللفـظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق" انظر: عبد الهادي الشهري–إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) – دار الكتاب الجديد المتحدة – ط١ – ٢٠٠٤م– ص٣٧٠.

٣– انظر: بنك القلق ص٩٩–٢١٠–٢١٥

- "وأنت ؟ ....ماذا حصل لك؟

- شعبان: نفس الشيء تقريبا. ذهبت يوم الامتحان مثلك بكل اطمئنان أحمل أقلامي وأدواتي ومذاكر المقرر إلى آخره...إلى آخره، وإذا بهم يقولون لي: صح النوم أنت جئت متأخرًا عن يوم الامتحان أسبوعـًا وعليك أن تشرف فـي العـام القادم. فلما جاء العام القادم ذهبت إليهم بأقلامي وأدواتي إلى آخره...إلى آخـره فقالوا لي بكل بجاحة، أنت حضرت مبكرًا عن يوم الامتحان أسبوعين؛ فلم أطق هذا التلاعب. وصحتُ بهم غاضبـًا: عندما تعرفون ضبط مواعيدكم أخبروني!... وتركتهم وذهبت بلا رجعة."[١]

فخطاب الزميل الآخر يتضمن تكرارًا دلاليـًّا للمحتوى القضوي الذي سرده أدهم سليمان، وهذا من شأنه أن يثبت الدعوى ويقرر المعطيات، ويـدعم آليـة التشابه وذلك بضمائم[٢] لغوية تؤكده، كما في عبارتي " نفس الشيء تقريبـًا"، "ذهبت يوم الامتحان مثلك بكل اطمئنان" كما استعان المتكلم بضمائم لفظية تغني عن ذكر ما قاله زميله، وتمنع تكراره، وهي: "إلى آخره...إلى آخره".

فتكرار المعطيات وتقريرها أسفر عن النتائج نفسها؛ فقد غضب (شـعبان) من الاضطراب البيّن في مواعيد المسئولين عن العملية التعليمية؛ وترك الدراسة بلا رجعة، وهذا موضع من مواضع عبقرية الكاتب، التي استخدم فيها الوصـف استخداما ضمنيـًّا، يقصد فيه إثبات الصفة بذكر دلائلهـا وقرائنهـا ومظاهرهـا المتعددة، لا بتكرار ذكرها بلفظها أو مرادفاتها اللفظية المجردة، يضاف إلى ذلـك التلميح بأثر الصفة المراد وضعها في بؤرة الرسالة الموجهة من العمـل الفنـي، ورصد هذا الأثر من زوايا متعددة: (المتكلم والمخاطب)، فقد انعكس عليهما الأثر نفسه؛ ليثبت ضمنا توغل هذه الصفة (الخلل في منظومة التعليم)، ووضوح أثرها في المجتمع بأسره.

١- السابق ص٢١

٢- والضميمة هي: تتابع وحدات لسانية في سلسلة الكلام ، وفي إنتاج الخبر.

ـ انظر: د/ سعيد علوش – معجم المصطلحات الأدبيـة المعاصـرة- ط١- دار الكتـاب اللبنـاني – بيروت١٩٨٥م- ص١٤٠

كما برز واضحـــاً البعد الاجتماعي لهذا الحوار الواصف الذي أكـــد الـــدور الرئيس الذي قامت به هذه المنظومة التعليميـــة فـــي إخفـــاق هـــذين الـــزميلين وغيرهما.

ثانيـاً: إستراتيجية التعميق:

وأقصد بها تأصيل فكرة ما والعودة بها إلى جذورها الأولى. فالكاتب يؤصِّل فكرة الاتجاهات الحزبية المتنوعة داخل الأسرة الواحدة ويعمِّقها؛ إذ كانت ســـائدةً في تلك الطبقة الغنية آنذاك، كما أشار الكاتب في غير موضع مـــن هـــذا العمـــل الأدبي. فقد كانوا يتنقلون بين الأحزاب؛ وَفقـــاً لأهوائهم، وإعلاءً لمصالحهم.

فها هو الكاتب يسوق لقارئه وصفـــاً سرديًّا تأصيليًّا عميقـــــاً للاتجاهـــات الحزبيّة لعائلة عاطف بك، التي كانت تملك نحو ألف فدان في كفر عنبة؛ منوفية ، وكان لهم ابن شيوعيّ، يقول:"....ربما كان ذلك لتكملـــة الصـــورة فقـــد كـــان المرحوم عاطف باشا الجَدّ يرى لذة الهوى والمصلحة في التنقل بين الأحـــزاب إلى أن استقر في حزب الملك فؤاد. أما ابنه منير فانضم إلى حزب الوفد في حين أن الابن الآخر عادل كان مع حزب الأحرار، وهذا التوزيع نفسه شمل بـــالطبع تابعيهم من الفلاحين"[١]

فقد وظَّف الكاتب هذا المدى الزمني الطويل بين الابن الشيوعي لهذه الأسرة وبين الجد (عاطف باشا)؛ تدعيمـــاً لدلالة الوصف العميق، والعـــودة بـــه إلـــى جذوره الأولى، وتأصيلا لفكرة التنقل بين الأحزاب لهذه الطبقة وتنوع الاتجاهات الحزبية داخل الأسرة الواحدة؛ وفقـــاً لأهوائهم، وإعلاءً لمصالحهم الخاصة؛ فقـــد كان إرثـــاً اجتماعيـــاً معتقديـــاً سائدًا بين هذه الطبقة من المجتمع. ولا شـــك أن الانتماء الحزبي ينتقل بالتبعية إلى الفلاحين المستأجرين لديهم.

وقد دعَّم التشكيل اللغوي لهذا الإطار الدلالي السردي الوصفي تعميق الفكرة وتأصيلها، وجاء مقويًّا لها وذلك بتوظيف مفردات دالة على المُضِيّ، سواء أكان مضيًّا زمنيًّا أم مضيًّا بالمعنى. ومن الأول: تكرار (كان) ثلاث مـــرات، والأفعـــال

١- بنك القلق ص١٢٤

الماضية (استقرّ – انضمَّ – شمل)، والآخر: برز واضحـاً في كلمتـي (الجـد – المرحوم)، وهذا التنوع كان داعما لتأصيل فكرة التنوع الحزبي داخل الأسرة.

كما دعَّم التشكيل اللغوي تأصيل الفكرة – نفسها–للفروع التابعة للأصول. فقد أصبحت الانتماءات الحزبية لهؤلاء الفلاحين المستأجرين تابعة لمالكيهم مـن الأسر الغنية إذ وظف الكاتب مقويات معجمية لهذا الإنجـاز اللغـوي تدعمـه و تظهره و توضح بُعده الاجتماعي، و ذلك في عبارة (و هذا التوزيع نفسه شـمل بالطبع تابعيهم من الفلاحين)؛ فقد تضمنت العبارة مؤكدًا تركيبيًّا فـي صـورة التوكيد المعنوي بـ لفظ (نفسه)، و كذلك اشتملت على مقوٍّ معجميٍّ تمثـل فـي عبارة (بالطبع)، فضلا على توظيف الفعل (شمل) الدال على العموم والشـمول. فالعودة بالفكرة – كما تضمنتها القرائن اللغوية المؤكدة– إلى جذورها الأولى من شأنه أن يدعمها و يعمقها و يرسخها في الذاكرة، ويزداد المتلقي اقتناعـاً بها؛ فقد غدت فكرته أشبه بسرد تاريخي قائم على التأصيل والتجذير.

كما وظَّف الكاتب التأصيل للفكرة والعودة بها إلى جذورها الأولى في وصف حال (أدهم سليمان)، حينما أُدْخل المعتقل؛ فرأى الطوائـف المختلفـة –هنـاك– ترحب به؛ طامعة في ضمّه إلى صفوفها؛ محاولة صب أفكـاره فـي فلسـفتها، ورفض هذه الفلسفات المتينة التركيب،و حاول إقناعهم بجذور هـذه الفلسـفات والأنظمة المجتمعية؛ فيصف ذلك قائلا:"إن الشيوعية[١] الحقيقية بدأت عند الرجل الأول و هو في الجنة، و إن (ماركس) لابد كان في وعيه الخفي جنـة آدم كمـا ذكرت في الأديان. تلك الجنة التي يسكنها آدم مـع حـواء. إنهـا فـي عُـرْف المسيحيين كانت على هذه الأرض نفسها؛ و كذلك في عُرْف بعض المفسرين من المسلمين الذين قالوا إنها كانت دار ابتلاء و ليست هى جنة الخلد التي جعلها الله

١– الشيوعية: نظرية اجتماعية و حركة سياسية ترمي إلى السيطرة على المجتمع و مقدراته لصـالح أفراد المجتمع بالتساوي و لا يمتاز فرد عن آخر بالمزايا التي تعود على المجتمع، و الأب الروحي للنظرية الشيوعية هو كارل ماركس –انظر:معهد البحرين للتنمية السياسية – معجم المصـطلحات السياسية –سلسلة كتب ٢٠١٤م – ص ٤٣

دار جزاء."[١]وإنها كانت بقعة مرتفعة من الأرض ذات أشجار و ثمار و ظلال و نضرة و نعيم، ما هو –إذن– النظام الذي كان سائدًا علي هذه الجنة الأرضية؟ إنه لا شك النظام الشيوعي في آخر مراحله، فإن آدم و حواء ما كانا يعرفان الملكية. كل منهما كان يأخذ ما شاء على قدر حاجته لا على قدر عمله و الاستمتاع بالجمال السرمدي، ما الذي حدث –إذن– لهذا النظام؟

حدث أن آدم و حواء أُخرجا من هذه الجنة إلى جهة أخرى مجدبة، فيها عمل و عناء، و هناك أنجبا أولادًا.و الأولاد أخذوا يملكون، هذا زارع يملك قطعة أرض، والآخر راعي غنم. عرفوا الملكية؛ فعرفوا النزاع والتنافس وحدث القتل.أول جريمة في تاريخ البشرية، والعجيب أن القاتل فيها كان هو قابيل المالك العقاري! منذ ذلك العهد وكل ما يحرك ذهن البشرية حتى اليوم هو ذكرى تلك الجنة والعودة إليها، إما عن طريق مرصوف بالمذاهب العلمية، وإما عن طريق مفروش بالعقائد الدينية."[٢] فالمحدد الزمني لتعميق الفكرة وتأصيلها في هذا الإطار الدلالي الواصف جاء أبعد وأشمل إذا ما قورن بالإطار الدلالي السابق عرضه؛ فقد أثبت الكاتب براعته في توظيف الزمن توظيفاً تدرجيًّا، يلائم السياق كما أثبت قدرته على القفز بالزمن إلى أبعد توقيتاته؛ بغية تأصيل فكرته وتعميقها.

١– وذكر ابن كثير (الحافظ عمادالدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر ت ٧٧٤هـ) خلاف المفسرين حول هذه المسألة قائلًا:" و إنما الخلاف الذي ذكروه في أن هذه الجنة التي أسكنها آدم ، هل هى في السماء ،أوفي الأرض؟ هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه ، والجمهور على أنها هي التي في السماء،و هى جنة المأوى ؛ لظاهر الآيات ....." و قلنا يا آدم أسكن أنت و زوجك الجنة "البقرة ١٢٥ و الألف و اللام ليست للعموم ، ولا لمعهود لفظي ، و إنما تعود على معهود ذهني ، و هو المستقر شرعًا من جنة المأوى .....و قال آخرون : بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد ؛لأنه كُلِّف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ، و لأنه نام فيها ، و أخرج منها ، و دخل عليه إبليس فيها ، و هذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى و هذا القول محكي عن أبي بن كعب ، و عبد الله بن عباس ، و وهب بن منبه " انظر البداية و النهاية – تحقيق عبد الله بن عبد الحسن التركي – مركز البحوث و الدراسات العربية و الإسلامية – دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع ١/١٧٥ – ١٧٦ .

٢– بنك القلق ص٦٣–٦٤

فها هو يصف – على لسان بطل الرواية – فكرة أصل الأنظمة المجتمعية المتنوعة عائدًا بها إلى أصولها الأولى منذ بدء الخليقة، إذ بدأت الشيوعية الحقيقية عند آدم عليه السلام، وهو في الجنة، وما نادى به كارل ماركس كان موجودا في عقله الباطن بوصفه إرثـاً مجتمعيًّا ورثته البشرية من أبيها آدم عليه السلام. غير أنهم لما عرفوا الملكية عرفوا النزاع والتنافس وحدث القتل ومنذ ذلك العهد وهم يحاولون العودة إلى تلك الجنة مرة أخرى كلٌّ بمذهبه الخاص، ومعتقده الموروث، فالهدف واحد، والسبل شتى.

والتشكيل اللغوي لهذا الإطار الدلالي الواصف جاء داعماً للبعد الاجتماعي وهو (تلازميّة الملكية والنزاع المجتمعيّ)، كما دعّم فكرة التأصيل للشيوعية، ذلك النظام الموجود منذ آدم عليه السلام – كما تصور الكاتب. ففي هذا الإطار الدلالي نجد ما يأتي:

- تضمينـاً لآراء بعض المفسرين الذين رأوا أن الجنة كانت دار ابتلاء، وليست هي جنة الخلد التي جعلها الله دار جزاء ؛ ليزداد المتلقي اقتناعاً بفكرته.

- حوارا ذاتيـاً للمتكلم، يتضمن استفهاماً مباشرًا: "ما هو –إذن– النظام الذي كان سائدا على هذه الجنة الأرضية؟ ما الذي حدث لهذا النظام؟"

- و جواباً مباشرًا: "إنه –لا شك– النظام الشيوعي في آخر مراحله.....حدث أن آدم وحواء أُخرجا من هذه الجنة إلى جهة أخرى مجدبة فيها عمل وعناء..."

فالمباشرة التعبيرية والوضوح في السؤال والجواب من المقوّمات الأساسية؛ لإيصال هدف الخطاب وممارسة سلطته بأقرب الطرق وأيسرها للمتلقي بكل درجاته الاستيعابية.

كما جاءت العبارات ذات الدلالة على المضيّ الزمنيّ والمضيّ اللفظي على حدٍّ سواء، ملائمة للصدى الدلالي لهذا الإطار،وهو العودة بالفكرة إلى جذورها

العميقة، ومنها :"بدأت – الرجل الأول – كانت جنة آدم – كان آدم وحواء – أخرجا من هذه الجنة – أول جريمة في تاريخ البشرية".

والبعد الاجتماعي الذي ألمح إليه الكاتب وهو (تلازميّة الملكيّة والنزاع المجتمعيّ) وضرورة إزالة الطبقيّة المجتمعيّة يعد تدعيماً وتأييدًا لقرارات الثورة آنذاك، كما أن التشكيل اللغوي بضمائمه المتنوعة ذات الدلالة على المضيّ قد دعّم التأصيل للفكرة، والعودة بها إلى جذورها الأولى وهذا من شأنه أن يزيد المتلقي اقتناعاً وتصديقا، وتفاعلا مع النص المنجز، واستيعاباً لمقصده.

يضاف إلى هذا أن في الأصل الذي اختاره الكاتب، وردَّ إليه الصفة (الشيوعية) اتفاقا بين ثقافات المجتمع الذي يقدم له العمل الفني، أقصد أصل البشر، وأبوة آدم وحواء.كما لا يخفى أنه ردَّ الصفة المراد تقرير ثبوتها – بهذا الصنيع– إلى أصل أصيل؛ فقد رجع بها إلى بداية الخليقة الآدمية؛ ليؤكد– ضمنيًّا– أنها ثابتة في الفطرة مستقرة فيها، وفي طبائعها منذ فطرها خالقها.

ثالثا: إستراتيجية الوصف المقابل:

و يقصد بها–هنا–استناد الوصف إلى سلطة خطابيّة من شأنها إبراز الجانبين المتناقضين للصورة الواحدة ،سواء أكان ذلك على مستوى وصف الشخصيات أم الطبقات الاجتماعية ومستوى معيشتها.

فقد استعان الكاتب بهذه الإستراتيجية؛ ليقدم للمتلقي صورة واقعية صادقة تعبر عن المجتمع وما فيه من فروق فردية، و طبقية على المستويات كافة، وتهدف إلى إعادة صياغة الواقع؛ فتفيد من سلبياته وتحاول معالجتها، وتلقي الضوء على إيجابياته وتدعو إلى التحلي بها.

وتفرعت هذه الإستراتيجية إلى آليات متنوعة، ومنها:

أ- آلية الوصف المقابل على مستوى الشخصيات:

وهو ما شخَّصه الكاتب حينما ألقى الضوء على جوانب إيجابيّة لبعض شخصيات هذا العمل الأدبي، التي تتحلى بالأخلاق ويحركها الوازع الديني، ذلك هو (الزبون السادس) لبنك القلق، جاء وهو في حيرةٍ من أمره، وقد أقلقته أزمة

إتقان العمل، وغياب الضمير، وانعدام المسؤولية، ولايدري ماذا يفعل؟ فالأمر ليس بيده، ولا يملك منه شيئا، يقول: "الأمر وما فيه أني عامل في مصنع نسيج بشبرا، لي زميل في العمل طبعه الإهمال والكلفته...فتلة غزل تتعقد يتركها...نصحته، ولكنه يقول لي: اسكت ولا يهمك، وأخيرا لمحته وهو يكسر سرًّا أحد أسنان المشط، الذي يمر فيه الغزل حتى تنفذ منه العقد التي يتركها... وهنا لم يستطع ضميري السكوت؛ فهددته بكشف أمره فاتهمني بالوشاية ...ماذا أفعل؟ أسكت ويظل الإنتاج ينخفض مستواه أو أشكو فأكون قد وشيت بزميل؟ ...العمل عندي لابد يأخذ حقه...والدي المريض في البيت .....أنا الآن الذي أعوله...كان صانع كراسي....ويقول لي وأنا صغير: إتقان العمل متعة وفريضة متعة لنفسك وفريضة أمرنا بها ربنا. والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "إن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه"[١]

في هذا الإطار الدلالي يصف الكاتب شخصيتين متناقضتين إحداهما شخصية إيجابية و الأخرى سلبية، و هذه التناقضات – بطبيعة الحال – لا تخلو منها المجتمعات على وجه العموم ؛ غير أن الكاتب ساق هذا الوصف؛ بغية إبراز البعد الاجتماعي له، و هو الحث على التنشئة الاجتماعية السليمة القائمة على أساس الوازع الديني و غرس قيم الإخلاص في العمل؛ فهى السبيل إلى إقامة مجتمعات متقدمة منتجة.

و على الجانب الآخر نجد أن الكاتب يلمح إلى أن التنشئة الاجتماعية، التي تخلو من التحلي بالمبادئ و الأخلاق و القيم ينجم عنها أشخاص فاسدون، يكونون سببًا في فساد المجتمعات و تدهورها وتخلفها.

١- والحديث في المعجم الأوسط للطبراني(الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد ت٢٦٠هـ)- تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد – عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٩٥م- ١/٢٧٥- رقم الحديث:٨٩٧

ـ وسنده: حدثنا أحمد ، قال: حدثنا مصعب، قال: حدثنا بشر بن سري عن مصعب بن ثابت، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة ، أن رسول الله -ﷺ- قال:" إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

و جاء التشكيل اللغوي لهذا الإطار الدلالي الواصف داعمـاً لفكرة التقابـل التي أظهرت بوضوح البعد الاجتماعي لها، وذلك وفق هاتين الأداتين:

١)الاستفهام: فالسؤالان اللذان عرضهما ذلك الزبون لبنك القلق على أدهم سليمان يترجمان حيرته و قلقه على العمل و الإنتاج من ناحيـة؛ فهـو عامـل مخلص في عمله نشأ و تربى على ذلك منذ طفولته، عوَّده والده إتقـان العمـل والإخلاص فيه، و كذا قلقه من أن يُتهم بالوشاية من ناحية أخرى، و هذه الحيرة تدعم دلالة التقابل الشعوري، الذي انتاب تلك الشخصية الإيجابيـة؛ فهـو مكبَّـل بالأصفاد، عاجزٌ عن مقاومة ذلك المرض المتفشي من أزمات الأخلاق.

٢)التضمين: ذلك المقوِّي البلاغي للمنجز النصِّي؛ إذ ضمَّن المرسل كلامـه حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، و هذا يدعم الوازع الديني لـدى الشخصـيّة الإيجابيّة، و يبرز –في الوقت نفسه–الشخصية الأخرى ذات الصـفات السـلبية؛ فالشخصية الأولى تركن إلى منهج الدين الحنيف في شتى مناحي حياتهـا، غيـر أنها في مواجهة الفساد و المفسدين شخصية ضعيفة، ليس لها أعوان؛ فمثله قليل ولا يملك من الأمر شيئا، إذا نصح كان منبوذًا، و أدار له الباقون ظهورهم، هـذا فضلا عن خشيته من الوشاية به، و حرصه على بقاء سيرته طيبة عطرة؛ فهـو شخص يتقي الشبهات، و يدرأ عن نفسه القيل والقال. و قد اتخذ الكاتـب هـذه الشخصية منطلقـاً؛ ليلقي الضوء على الجانب الآخر، و يبرز جانـب الشخصـية السلبية و أعوانها الذين غصّ بهم المجتمع، وكانوا سببـاً فـي تـدهوره، وتخلفه وضياع مقدراته؛ فليس هدفهم العمل و الإنتاج بقدر ما كانوا يهـدفون إلى الكسب المادي و توزيع الأرباح، يقول: "قلت له. و لكنه كان يدير لي ظهره و ينغمس مع زملاء آخرين يتناقشون في الأرباح ...و مواعيد صرفها، والأنصبة التي ستوزع و النسب."[١]

١– بنك القلق ص١٦١

ب- آلية الوصف المقابل على المستوى الطبقي:

كما استعان الكاتب بالتقابل؛ ليصف لمتلقيه الفروق الطبقية بين شخصيات هذا العمل الأدبي؛ وليبرز عن طريق هذا الوصف البعد الاجتماعي لخطابه، وهو إظهار صورة المجتمع المصري قبل ثورة ١٩٥٢م ؛فقد جسَّد بهذا الوصف صورة واقعية للمجتمع المنقسم إلى ما يشبه الأسياد وعبيدهم؛ فثمة طبقة تملك المال والأطيان وبيدها الأمر والنهي والحل والعقد، وأخرى لا تملك قوت يومها، يستأجرهم هؤلاء، ويلقون إليهم فُتاتاً.وهذا ما صوَّره الكاتب تصويرا ضمنيًّا تلميحيًّا في حوار أدهم سليمان ومرفت ابنة عاطف بك مذكرا إياها بطفولتها، قائلا:

- أنا سبق رأيت مرفت هانم وهي طفلة في الرابعة من عمرها.

- مرفت: لا أذكر أني رأيتك.

- أدهم: طبعاً ولا يمكن أن تتذكري. أنت كنت صغيرة. أما أنا فكنت – يومئذٍ– طفلا في العاشرة . وكنّا كلنا أطفال القرية ننظر إليك عن بُعد، وأنت فوق الحصان"[١].

لقد عمد الكاتب في هذا الحوار الواصف إلى ذكر المحددات الزمنية، التي تعين متلقي النص على إدراك الفترة المقصودة وهي فترة ما قبل ثورة ١٩٥٢م.كما دعَّم التشكيل اللغوي للعبارة التذييلية (وكنا كلنا أطفال القرية ننظر إليك عن بُعد، وأنت فوق الحصان) دلالة التفاوت الطبقي الكبير؛إذ استعان الكاتب بمقويات معجمية وتركيبية، منها:

- استعمال ضمير الفاعلين المتصل (نا) الدال على الجمع مضافاً إلى لفظة العموم (كل)

- استعمال كلمة (أطفال) جمعاً ، وإضافة كلمة (القرية) إليها أكسبها تخصيصاً دلاليًّا وقصرًا لهذا العموم والشمول على أطفال القرية فحسب.

١- السابق ص٣٣

- توظيف دلالتيّ الاستمرار و الشمول الظاهرتين من استعمال الفعل المضارع لجمع المتكلمين (ننظر).

فقد تمكن الكاتب عن طريق ممارسة سلطة الخطاب الفاعلة أن يؤكد للمتلقي تأكيدًا ضمنيًّا أن الغالبية العظمى من المجتمع – وهم الفلاحون المستأجرون في أطيان البكوات– يعانون الفقر والفاقة والحرمان والعَوَز.أما الفئة القليلة من الأثرياء مالكي الأطيان والأموال؛ فنجد الكاتب يحيل إليهم بضمير إفرادي مخاطب متصل(إليك) أو منفصل (أنت)؛ مشيرًا إلى أنهم قلة في العدد، ويبرز بذلك كثرة عدد المنتمين إلى الطبقة الفقيرة في المجتمع.

فهذا الحوار الواصف يدور بين شخصين فقط، هما أدهم سليمان رمز الطبقة الفقيرة، ومرفت هانم رمز الطبقة الغنية؛ بيد أن الكاتب وظَّف– لغويًّا– ما يدل على العموم والشمول والجمع والاستمرار، عند حديثه عن الطبقة الفقيرة، كما وظّف ما يدل على التفرد والقلة عند حديثه عن أثرياء المجتمع؛ فهو تصوير رائع بديع، وتوظيف فني عميق لسلطة الخطاب، وتمكين لقدرته على الوصف الدقيق، وتلميح معبر أصدق تعبير وأروعه عن حال المجتمع آنذاك، وما فيه من تفاوت طبقي –ليس بين الشخصين المتحاورين فحسب، بل كان سمة بارزة في المجتمع بأسره. فقد أبرز بوضوح البعد الاجتماعي للنص المُنْجَز المقصود إيصاله إلى المتلقي.

ج- آلية الوصف المقابل لمستوى المعيشة:

كما ألقى الكاتب الضوء – عن طريق توظيفه للوصف المقابل– على التفاوت الطبقي في مستوى المعيشة؛ بغية تأكيد البعد الاجتماعي لهذا الوصف بلغةٍ تلميحيّة رائعة، تجسد حال طبقتي المجتمع آنذاك. الطبقة الارستقراطية الغنية، و ما تنعم به من حياة مرفهة ذات عيش رغيد، وتمثلها أسرة (عادل بك عاطف) و ابنته مرفت هانم. والطبقة الفقيرة و ما تعانيه من ضيق عيشٍ و كفاحٍ وكدٍّو تعب، وعوزٍ و تمثلها أسرة (أدهم سليمان) يقول الكاتب مصوِّرًا تصويرًا ضمنيًا هذا التقابل في إطار دلالي استرجاعي واصف.

" و تذكر والده الشيخ عبد الصمد أبو حواية و فداديـــه الخمســـة، التـــي يستأجرها في أطيان البك الكبير عادل بك عاطف الوجيه الأنيق. وقفتـــه المهيبـــة كانت تبهره هو و بقية أطفال القرية. أنظارهم كانت تتعلـــق بـــالمقبض الـــذهبي لشمسيته و هو يشرف بنفسه على جمع القطن في شهر سبتمبر من كل عـــام . الشهر الوحيد الذي يجئ له من القاهرة مع أسرته، و زوجته الحسناء و أختهـــا الصغرى اليافعة و ابنته الطفلة ميرفت، و هي تلح و تبكي لتركب حصـــان البـــك الكبير، كانت في الرابعة، و كان هو في العاشرة، يراها بعيدة مثل ثمرة البرتقال و الرمان و الجوافة التي تتمايل فوق الأشجار من خلف ســـور الحديقـــة المحيطـــة بالسراية..."[١]

أبرز التشكيل اللغوي الدلالي لهذا المنجز النصِّي بوضوح استعانة الكاتـــب بالحقول الدلالية للمفردات و العبارات الدالة على الماديات والمحسوســـات، كمـــا استعان بما يقابلها من حقول دلالية لمفردات و عبارات دالة على المجـــردات أو المعنويات؛ بغية وصف المشهد من جوانبه المتعددة، و زواياه المختلفـــة؛ فهـــذا أدعى لإيضاح الصورة و ظهورها جليةً في ذهن المتلقي،و من ثمَّ اقتناعه بها و تفاعله معها. فالمفردات و العبارات ذات الدلالة المادية تمثلت في وصف عادل بك عاطف و أسرته، ومنها لفظ "الأنيق"، والإحالة إليه بضمير الغائب المتصـــل فـــي سياق: (زوجته الحسناء– المقبض الذهبي لشمسيته).

أما الدلالة المعنوية المجردة فتمثلت في مفردات وعبارات، نحـــو: البـــك الكبير (وصف لعادل بك عاطف)، و كذلك (الوجيه)، ثم يحيل إليه بضمير الغيبـــة في عبارتي (وقفته المهيبة – يشرف بنفسه على جمع القطن).

ثم يمزج الكاتب بين الحسي و المعنوي في تشبيه تمثيلي، إذ يشبه ميرفت ابنة عادل بك عاطف في مستوى معيشتها وبعدها الطبقي عـــن أطفـــال القريـــة بالثمار المتدليّة من أشجار الحديقة المحيطة بالسراية، التي كانت بعيدة كـــذلك عن هذه الطبقة، التي لم تكن تملك إلا النظر إليها من بعيد فحسب.

١– بنك القلق، ص٣٤

و اتخذ الكاتب هذا التشبيه منطلقـاً؛ ليستكمل الصورة بجانبيها المتقابلين، كما جاء قوله:

"مرة واحدة غامر و تسلق السور و مد يده إلى ثمرة جوافة قطفهـا مـن غصنها المتدلي، و لمحه الخولي و قامت الضجة و أجري التحقيق . و سمع من يقول إنهم سيوقعون غرامة على أبيه...و لكن القطوف الدانية فوق الشجر أتوجد يد طفل تقاوم إغراءها ؟!"[١]

فقد آثر الكاتب في هذا الإطار الدلالي أن يكثّف دلالة العقاب الواقـع علـى أدهم و أسرته ، و يقوّيها، موظفـاً لذلك مقويات إنجازيّة معجميّة ذات معـدلات قوية تتمثل في التراكيب الفعلية (قامت الضجة – أجرى التحقيـق – سـيوقعون غرامة على أبيه)؛ ليوضح لقارئه الصفات المعنوية لهذه الطبقة الغنية التي تتمثل في العنف و الطغيان، الذي تمارسه حال المساس بأملاكها أو الاقتـراب منهـا حتى لو كان طفلًا. وعلى الجانب الآخر نجد الكاتب يُضعف دلالة الجرم المرتكب و يهوِّنها؛ موظفـاً مضعفات إنجازية معجمية ذات معدلات دلالية ضـعيفة تضـعف شأن هذا الجرم المرتكب من طفل فقير دفعه إلى ذلك العوزو الفقر.

و من هذه المضعفات الإنجازية:

- المركبان الوصفي و الإضافي اللذان يضيّقان حـدود دلالـة المفـردة و يخصصانها (مرة واحدة[٢] – ثمرة جوافة)

- الاستدراك على هذا العقاب بالاستفهام التقريريّ، الذي يبرز ارتكاب الطفل لهذا الجرم، و ضعفه أمام تلك القطوف الدانية (و لكن القطوف الدانيـة فـوق الشجر أتوجد يد طفل تقاوم إغراءها ؟!) فقوة السـلطة الخطابيـة ذات الـدلالات المتفاوتة التي مارسها الكاتب ووظفها؛ أظهرت بوضوح البعد الاجتمـاعي لهـذا الإطار الدلالي، و هو الفجوة والهوة الواسعة بين الطبقتين، فهما علـى طرفـي

١- بنك القلق ص٣٦

٢- والتضييق الدلالي في التركيب الوصفي(مرة واحدة) خفيّ بعض الشيء؛ فقد يقال : المرَّة لا تكون إلا واحدة، والحق أن الصفة هنا صفة مؤكدة للموصوف بالعدد المستفاد من لفظ الموصوف نفسه.

نقيض طبقة تملك كل شيء وتخشى المساس بأملاكها حتى من ضعاف البشر، و هم أطفال الفقراء و طبقة أخرى أرهقها العوز و الفقر و الاحتياج و لم تلــق إلا الذل و الهوان.

كما تطرق الكاتب إلى وصف الأماكن، التي تقطنها شخصيات هــذا العمــل بوصفها من محددات مستوى معيشتهم؛ بغية اكتمال الصورة التي يود إيصــالها إلى متلقيه بوضوح. فيقول واصفا مسكن (ميرفت) ابنة الطبقة الغنية:

"كانت الفيلا التي تقطنها ميرفت و خالتها في الدقي مكدَّسة بالرِّياش ليس فقط لأن ميرفت في زواجها الأخير أضافت أثاثــاً إلى أثاث، و لكــن لأنهــا هــى نفسها من رواد المزادات. ما من مزاد مشهور إلا و توجد فيه، مع صاحبات لها ممن يبحثن مثلها عن التظاهر، و عما يضيعن فيه فراغ فترة الصباح، و إن لــم تجد أحدًا يرافقها ألحت على خالتها فتذهب معها مرغمة."[١]

فالتشكيل اللغوي الذي وظفه الكاتب لوصف هذا المسكن يتضمن ألفاظــاً تنتمي إلى حقل دلالي واحد، يعبر عن هذه الطبقة و مستوى معيشــتها؛ فهــذي (مرفت) المدللة ابنة الطبقة الغنية تقطن في فيلا مكدَّسة بالرياش، و قد انتقــى الكاتب مفردات معجمية تقوِّي هذه الدلالة، و تعبر تعبيرًا صادقــاً عــن حيــاة الترف والعيش الرغيد الذي يتمتع بها هؤلاء، ومنها:

- كلمتا(الفيلا– المعادي) اللتان تشيران إلى مســكن راقٍ فــي مكــان راقٍ، يقطنه علية المجتمع آنذاك.

- لفظة (مكدَّسة) وبنيتها (المضعَّفة العين) كثفت الدلالة وقوَّتها؛ فأوحت إلى القاريء بامتلاء هذا المكان بالرياش، فضلا عن توظيف الباء الجارة؛ لإلصاق هذا الرياش بهذا المسكن على سبيل الاستمرار؛ فهومن صفاته الدائمة.

- كما وظَّف الكاتب آلية تعليل الوصف، موضحــاً للمتلقــي أن الفواعــل الاجتماعية أو الشخصيات المنتمية إلى هذه الطبقة كانت سببــاً لتكدس مساكنهم بالرياش؛ فهم مغرمون بإضافة أثاث إلى أثاث وبارتياد المــزادات المشــهورة،

١– بنك القلق ص:١٤٢

وغير ذلك من أسباب التظاهر وإضاعة الوقت والمال فيما هو زائد عن احتياجاتهم.

وعلى الجانب الآخر يسوق لنا الكاتب وصفاً لمسكن (أدهم سليمان)، الذي يمثل الطبقة الفقيرة، يقول:" فهذا المسكن أو الجُحْر أو الشقة الصغيرة في ذلك البناء القديم بحارة ضيقة من حواري شارع محمد علي لا تدخله الآن نسمة هواء. ثم إن المصباح ليس به نقطة جاز، بالطبع لا يستعمل الكهرباء؛ حتى لا يتشرف بزيارة قاريء العداد ومحصل النور."[١]

فانتماؤه إلى الطبقة الكادحة المستأجرة ظل ملازماً له حينما ترك قريته في كفر عنبة، وقطن في العاصمة واستقر بها، كان مسكنه في بناء قديم بحارة ضيقة من حواري شارع محمد علي، ذلك المكان الذي تحيّر الكاتب في وصفه وتحديد ملامحه، هل هو مسكن أو جحر أو شقة صغيرة، وقد أعانه التشكيل اللغوي على إيصال فكرته إلى القاريء؛ موضحاً المعاناة التي يعانيها، مثل هؤلاء ممن ينتمون إلى هذه الطبقة.

- فقد انتقى ألفاظاً، مثل:(شارع محمد علي– جُحْر) تشير إلى مسكن متواضع في مكان شعبيّ بسيط يقطنه فقراءُ المجتمع آنذاك .

- توظيف المحددات الدلالية المتمثلة في التراكيب الجزئية، ومنها المركب الوصفي الذي شكَّل عبارتيّ(البناء القديم)، (حارة ضيقة)؛ فهو يخصص الدلالة ويحددها ولا يتركها عامة، فصفة هذا البناء الذي يقطنه (القديم)، وصفة الحارة التي فيها هذا البناء(ضيقة).

- توظيف عبارات ذات دلالة على الفقر والعوز وتدني مستوى المعيشة، مثل:(لا تدخله نسمة هواء)، (المصباح ليس به نقطة جاز)، (لا يستعمل الكهرباء)

- توظيف المقويات المعجمية الإنجازية كما في كلمة(بالطبع)، التي ذيَّل بها وصفه وتصدرت المركب الفعلي المنفي (بالطبع لا يستعمل الكهرباء)؛ فهذه نتيجة

١– بنك القلق، ص١٨

مؤكدة وحتمية لوصف المسكن، ومستوى معيشة قاطنيه؛ فلم يكونوا يعرفون الكهرباء؛ لأنهم لا يستطيعون تحمُّلَ أعبائها وتكلفتها .

بالنظر إلى ما سبق وفي ضوء العرض السابق لإستراتيجية الوصف المقابل وممارسة الكاتب سلطة خطابية داعمة لها وموجهة لدلالتها يظهر للقاريء البعد الاجتماعي واضحاً، وهو إظهار الهوة الواسعة والفجوة الكبيرة بين طبقتي المجتمع – آنذاك–في جوانب متعددة، سواء أكان ذلك على مستوى الشخصيات وصفاتهم المادية والمعنوية، أم مستوى معيشتهم، التي وظفت فيها المحددات المكانية توظيفاً رئيساً لإبرازها. والكاتب في كل هذا يستخدم لغة تبتعد عن مجرد التقرير والإخبار، وهو ما يجعل الكلام خاضعا للحكم عليه بالصدق أو الكذب، وإنما يستخدم الوصف والوصف المقابل؛ ليبين حالين للمتلقي، لا يكون من المتلقي تدبره لهما إلا أن يقرر بنفسه – عن يقين وقناعة – ما أراد الأديب تقريره ورصد آثاره.

رابعاً: إستراتيجية الوصف المدعم بروح الفكاهة:

وظَّف توفيق الحكيم الأسلوب الفكاهي في وصفه السردي؛ ليدعم تأثير ذلك الوصف في نفوس المتلقين بطريقة مسليّة وبروح الفكاهة. فها هو منير عاطف الوجيه الثري يعرض على أدهم سليمان وشعبان جاد عوضين مبلغ خمسين جنيها؛ للاشتراك معهما في تأسيس البنك، وهو مبلغ لم يحدث أن اجتمع لواحد منهما دفعة واحدة. فكرا أول ما فكرا في أكلة محترمة.

(وفي الحال نزلا معا إلى شارع محمد علي، وجعلا يستعرضان المطاعم بأنفة وكبرياء! ...هذا مطعم فول وطعمية...أعوذ بالله! وهذا مسمط كوارع وكرشة ولحمة راس...اخص! وهذا محل سندوتشات..يغور!"[١]

ثم دخلا مطعما أنيقا" وجلسا إلى أول مائدة ...وانتظرا الخدمة وطال الانتظار، وأصبحا كالأيتام في مأدبة اللئام. فخدم المطعم كانوا يحملون الصحاف إلى بقية الزباين، ويمرون بهما مرَّ القطارات السريعة بمحطات الأرياف، وصفق

١– بنك القلق ص٨٢

شعبان تصفيق الغاضب المتحدي، محدثا ضجيجـاً لفت النظـر، فجـاءه خـادم يجري وبيده قائمة الطعام. فما إن وقعت عيناه على كلمة دجاجـة حتـى وضـع إصبعه عليها لقد مضى عليه حين من الـدهر كـان يعتقـد فيـه أن الحيوانـات المنقرضة هي الدينوصور والدجاج"[١]

لقد ظهرت براعة الكاتب في هذا الوصف المدعم بروح الفكاهة، وقد أعانه على ذلك التشكيل اللغوي الذي أبرز جانبين:

- أحدهما: توظيف مستوى الأداء العامي، ولا سيما في العبارات ذات الدلالة على السخرية والأنفة من أوضاعهما الماضية، التي أرهقتهما وتشـبعا منهـا؛ فمقتاها وكرها مجرد تذكرها؛ فوظفا عبارات(أعوذ بالله – إخص– يغور).

- الآخر: توظيف المجاز، ولا سيما (التشبيه)، الذي يقوّي المعنى ويقـرب الصورة إلى ذهن المتلقي، وهي صورة الصديقيْن المنتميين إلى الطبقة الفقيـرة حينما تبدّل حالهما وأصبحا يرتادان أماكن الأغنياء ، ويأكلان مـأكلهم ؛ فـــ" أصبحا كالأيتام في مأدبة اللئام"

" فخدم المطعم كانوا يحملون الصحاف إلى بقية الزباين، ويمرون بهما مرَّ القطارات السريعة بمحطات الأرياف"؛ فهذه التشبيهات أوصـلت فكـرة الكاتـب بطريقة مشوقة وواضحة ومسليّة وفي الوقت ذاته؛جعلت المتلقـي يتفاعـل مـع النص ويتأثر به؛ فيزداد اقتناعه بالفكرة المقصودة.

و(الكناية) التي خرقت الكيفيّة، التي ينبغي أن يأتي عليها كلام المرسل؛ لتصل فكرة الكاتب إلى قارئه بطريقة مشوقة غير تقليدية؛ إذ كنّى عن حيـاة الـزميلين البائسة فيما مضى، وحرمانهما مما لذَّ وطاب من الأطعمة،حتى أنهما كانا يعتقدان أن الدجاج من الحيوانات المنقرضة؛ فارتفع بذلك معدل الفكاهة والسخرية.

وهذا التشكيل اللغوي قد أبرز البعد الاجتماعي لهذا الوصف المدعم بـروح الفكاهة، ليس بوصفه عنصرًا أساسـاً في السرد فحسب؛ بـل بوصـفه جـزءًا أصيلا في الشخصية المصرية، وقد تأتَّى ذلك للكاتب من جانبين:

١- السابق ص٨٣

- الأول: إلمامه الدقيق بملامح الشخصية المصرية، وإدراكه أن المصريين أهل نكتة حتى في أحلك ظروفهم المعيشية، فضلا عن طبائعهم الساخرة؛ مما أجبروا عليه قديماً، وشاء القدر أن يتخلصوا منه ؛ فكان الزميلان -بالكاد- يحصلان على(سندوتش) طعمية، كما وصف الكاتب في موضع آخر من هذا العمل قائلا: "وقدّم البائع لكل منهما سندوتش طعمية وفول محبش بالسلطة لكن المهم الدفع. وتظاهر شعبان بأن هذا واجب عليه وجعل يخرج من جيوبه نقودًا لا وجود لها. قرش واحد فقط خرج بين أصابعه من أعماق البطانة...وأيقن أدهم أن زميله غير جاد في الدعوة؛ فأخرج في الحال بعض ما في جيبه ودفع وجيبه أيضا لا يحوي إلا القليل"[١]

والفكاهة -هنا- لم تكن مقصودة لذاتها، فالتندر-هنا- ليس بقصد الهزل والضحك، وإنما استطاع به الكاتب أن يمزج بين شيئين؛ مغازلة طابع من طبائع الشخصية المصرية، وتوكيد الوصف المراد (الفقر المدقع والتفارق الطبقي) عن طريق إقامة الدليل عليه من واقع حياة البطلين.وهذا الإطار الدلالي الواصف هو نموذج من نماذج كثيرة، ألقى الكاتب فيها الضوء على حال الزميلين، وما كانا عليه من فقر مدقع في الماضي.

- الآخر: دقة ملاحظته لطبيعة المجتمع المصري آنذاك، إذ عايش فترة ما قبل الثورة وما بعدها، أما قبلها فقد حظيت الطبقات الثرية ذات المظاهر البرّاقة بالعناية والاهتمام، بيد أن الفقراء كانوا مهمشين لا يكترث بهم المجتمع آنذاك.

وبعد الثورة تحول حالهم فأصبح هؤلاء المهمشون يعيشون عيشة الطبقات الثرية، يأكلون مأكلهم ويلبسون ما يلبسون، وأصبحوا يسخرون من أوضاعهم القديمة وينظرون إليها بأنفة وكبرياء.فهو وصف تلميحي هادف، يلقي الضوء -ضمنياً- على ما حققته الثورة من عدالة مجتمعية، عادت بالنفع على أولئك المهمشين.

١- بنك القلق، ص٣٨

خامساً: إستراتيجية الوصف العلائقي:

وأقصد بها الوصف الارتباطي الذي يُظهر علاقة شخصيات العمل الأدبي بعضها ببعض، ويلقي الضوء عليها، وكذا على الأحداث وامتدادها على مدار العمل الأدبي ، وذلك على النحو الآتي:

أ- الوصف العلائقي للشخصيات:

ومنه الوصف العلائقي لشخصيات الطبقة الغنية.وتجلى ذلك واضحا في حيرة (شعبان جاد عوضين) في أمر(ميرفت) ورغبته في معرفة المزيد عنها؛ فقد شغلت عقله و قلبه؛ فنراه يتساءل، بدافع الفضول، عن علاقتها بمن حولها قائلًا : "و من هو زوجها ؟ و أين هو؟ ثم خالتها فاطمة هانم هذه بوجهها المكتئب و ملامحها الصارمة و ذبول المرأة التي جاوزت الخامسة و الأربعين! إنها فيما يبدو ذات سلطان كبير على الشابة الحسناء. فهى عندما أمرتها بالانصراف انصاعت في الحال. و هذا العم منير بك الذي يصرِّف شئونها المالية فيما يظهر. كان قد قال إن شقيقة عادل عاطف قد توفي. لكن والدتها ؟ أين هى؟"[١]

فقد قصد الكاتب من خطابه الوصفي العلائقي أن يرسم صورًا واضحة الملامح لعلاقة شخصيات هذا العمل بعضها ببعض، فهو وصف علائقي متعدد الجوانب، يظهر علاقة (ميرفت هانم) ابنة الطبقة الغنية بأفراد أسرتها؛ بغية تبئير هذه الشخصية و إلقاء الضوء عليها؛ فهى قطب هذه الأسرة و محورها و واسطة عقدها تلك الأسرة التي تمثل الطبقة الارستقراطية الغنية.

و قد وظف الكاتب تشكيلا لغويًّا ملائماً لمقام الرغبة في معرفة المجهول، تمثل فيما يأتي:

- الاستفهام المتكرر من شعبان في بداية الإطار الدلالي السابق و في نهايته، ذلك الذي يشير إلى رغبة شعبان في معرفة المزيد عن ميرفت و تطلعه إلى إدراك علاقتها بأفراد أسرتها؛ فالصورة في ذهنه غامضة و ليست واضحة بشكل كافٍ (من هو زوجها؟ – أين هو – و والدتها – أين هى؟)

١- بنك القلق ص١٠٣

- دلالة الاجتهاد و التخمين، و ذلك من واقع ما توافر لديه من معلومات وما استطاع التوصل إليه، و قد عبر الكاتب عن هذه الدلالة بعبارتي (فيما يبدو، وفيما يظهر).

فالعبارة الأولى – فضلا عما تحمله من دلالتي التخمين و الاجتهاد في استيضاح علاقة ميرفت بأسرتها – قد أضعفت قوة المنجز اللغوي وهو (سلطان الخالة) و أومأت للقارئ المدقق إلى أن حقيقة العلاقة بين ميرفت و خالتها غير ذلك، و قد أكد الكاتب ذلك في إطار دلالي آخر على لسان فاطمة هانم: "لكن أنا التي توليت تنشئتها بعد ذلك لماذا فشلت في تربيتها؟ أتراني بالغت في تدليلها إنها تكره الدراسة، و كلما هربت من المدرسة كنت أتسامح ولا أجرؤ على إرغامها. و كلما طرحت الكتاب أو مزقته تركتها تفعل كلنا في خدمتها– لم تخدم نفسها مرة."[١]

فهذا الإطار الدلالي بتشكيله اللغوي قد عصف بكيان هذا السلطان الظاهر للخالة على ميرفت، و لا سيما في عبارتي "بالغت في تدليلها"، "فشلت في تربيتها" المتوازيتين تركيبيـًا، اللتين تجمعهما علاقة تراتبية، فالثانية ترتبت على الأولى و جاءت نتيجة لها .وهاتان العبارتان أظهرتا بوضوح جليّ توظيف الكاتب لآلية تأنيب الذات الفردية.[٢]

فها هى الخالة فاطمة تؤنب ذاتها و تلومها على ما اقترفته في حق مرفت من المبالغة في تدليلها، و تركها لهواها تفعل ما تشاء و ما تريد دونما حساب أو عقاب؛ ماجعلها تفشل في تربيتها.وانتابت مرفت حالة من اللامبالاة؛ جعلتها لا تبالي بما يحدث حولها ولا تكترث بالمجتمع وظروفه "ولا تشعر ولا تبالي بما يقع من أحداث لا تشعر إذا كانت في عهد ملوكية أو جمهورية"[٣]

١– بنك القلق، ص٢١٥

٢– هي آلية خطابية يتوخى المرسل فيها تأنيب ذاته، والانتقاص من قدرته أو أفعاله أو سلوكه. انظر: إستراتيجيات الخطاب – ص٣١٩، ٣٢٠

٣– بنك القلق، ص٢١٤

ويستمر الكاتب في توظيف آلية تأنيب الذات الممزوجة بالمكاشفة[١]؛ ليظهر البعد النفسي الذي يبرز ما فعلته الخالة فاطمة مع ميرفت، ثم آل حالها إلى ما آلت إليه، يقول: "لكن هل كان في استطاعتها أن لا تدللها؟ هناك في أعماق نفسها أسباب كثيرة تدعوها إلى تدليل ميرفت لو كانت الأم هي التي تولت تنشئتها أما كان من الممكن أن تصبح خيرًا من ذلك، لكن هل التنشئة هي وحدها المسئولة، أو أن شيئا ما أثر في أعصاب هذه البنت منذ تلك الليلة المشئومة ؟!"

فالكاتب –هنا– يكاشف متلقيه مكاشفة غير مكتملة؛ لتشويقه وشد انتباهه وإثارة ذهنه؛ لمعرفة ما حدث في تلك الليلة المشئومة، التي غيرت مجرى حياة هذه الأسرة، وجعل الخالة فاطمة تشفق على ميرفت ابنة أختها، وتبالغ في تدليلها.

وهكذا تمكن الكاتب عن طريق توظيفه للتشكيل اللغوي المناسب والآليات الخطابيّة اللغوية أن يُطلع القاريء على حقيقة العلاقة بين ميرفت وخالتها، وكذلك بينها وبين عمها، الذي يصرف شئونها المالية بعد موت والدها.

وقد أجمل ذلك –كله– في عبارة "كلنا في خدمتها" التي تظهر البعد الاجتماعي لهذه العلاقة، وهو حال العنصر الشبابي، الذي أنتجته تلك الأسرة الغنية للمجتمع، وذلك العنصر الذي لا يأبه بأي شيء ولا يبالي، ولا يكترث بظروف مجتمعه حتى نفسه لم يخدمها؛ معتمدًا على المحيطين به.

وعلى الجانب الآخر يوظف الكاتب الوصف العلائقي؛ ليوضح علاقة (أدهم سليمان) بأسرته، الذي ظهر واضحاً في هذا الإطار الدلالي، يقول: "ولقد أصرَّ فعلا على تعليم ابنه، أرسله إلى خاله في القاهرة عطار صغير في خان جعفر، ونجح أدهم في كل مراحل التعليم. لم يبخل عليه أبوه بكل ما استطاع من مصروف، ولا والدته بكل ما استطاعت من تدبير المؤونة من جبن وبيض وبتاو وبرام أرز تصله من حين إلى حين وعندما التحق بكلية الحقوق باع والده

١– المكاشفة: آلية خطابية يتوخى فيها المرسل استعمال الصراحة مع المستقبل، وإخباره بحقيقة الأمر تضامنًا معه. انظر: إستراتيجيات الخطاب، ص٣٠٢.

الجاموسة لينفق عليه، لكنه كان قد بدأ يقرض الشعر ويعتنق آراء غريبة ويرى الدنيا بعينه الخاصة؛ ومات والده وفي قلبه حسرة يوم علم أنه ترك كلية الحقوق واشتغل بالصحافة ثم اعتقل ثم أخرج منه وعاد إلى الصحافة ثم لم يعد أحد في قريته يسمع عنه شيئا.

انقطعت صلته بأهله، قيل له وهو في المعتقل: إن أمه -أيضاً-ماتت لم يبق له أحد يهمه سوى أخته الكبرى، التي تزوجت وسمع أن زوجها الفلاح قد ملكوه خمسة أفدنة في الإصلاح الزراعي، لكنه الآن بعيد كل البعد عن كل ذلك."[١]

أظهر الكاتب بهذا الوصف العلائقي علاقة أدهم سليمان بأسرته الصغيرة (أبيه وأمه وخاله وأخته وزوجها)، وكيف كان "أدهم" قطب هذه الأسرة ومحورها الارتكازي وأملها المنشود وغايتها المرادة، تلك الأسرة التي بذلت ما في وسعها؛ ليتم تعليمه، على الرغم من فقرها وضيق ذات يدها، شأنها في ذلك شأن جميع الأسر، التي تنتمي إلى هذه الطبقة من المجتمع -آنذاك- وهذا الوصف في بعده الاجتماعي يوميء للقاريء ويؤكد ما سبق ذكره: أن التعليم بالنسبة إلى هذه الطبقة هو المخرج لهم، مما هم فيه، وهو الأمل الذي لو تحقق واكتمل لنقلهم إلى حياة أفضل مما هم فيها.

وقد برع الكاتب في إيصال هذه الفكرة إلى القاريء بما وظفه من تشكيل لغوي، أعانه على إيصالها مكتملة؛ إذ وظَّف الوحدة المعجمية ذات الدلالة على القصد المتعمد والاقتناع بفكرة أن التعليم قادر على تغيير حياتهم، فجاء الفعل (أصرَّ) بوصفه مقويًّا إنجازيًّا؛ فلم يصر والده على ذلك إصرارًا قوليًّا أو ظاهريًّا فحسب، بل كان إصراره مدعماً ومؤيدًا بأفعاله إذ "أرسله إلى خاله في القاهرة"، "ولم يبخل عليه بكل ما استطاع من مصروف"، كما دعّم التركيب الشرطي السببي فكرة إصرار والده على تعليمه" عندما التحق بكلية الحقوق باع والده الجاموسة؛ لينفق عليه"؛ فلم يبخل على ابنه؛ إذ باع من أجل تعليمه ما يمثل بالنسبة إلى هذه الطبقة رأسمالها ومدخرها التي تعينهم على حياتهم وتسد احتياجتهم الحياتية.

١- بنك القلق ص٣٦

كما وظف الكاتب وحدات معجمية ذات دلالة على مأكل هذه الطبقة البسيطة (جبن – بيض– بتاو) فمأكلهم، مع بساطته، لم يكن متوافرًا إلا من حين إلى حين.ونجح "أدهم" في كل مراحل التعليم حتى حدث ذلك التحول في حياته، وترك نفسه لهواها واعتنق آراء غريبة واعْتُقِل وخيَّب آمال أسرته فيه ومات أبوه متحسِّرًا عليه؛ فطالما تمنى أن يصير ابنه من الحكام "ليس بكثير عليك يارب أن تجعل ابني من الحكام في يده أمر السجن والإفراج."[١]

هكذا بدأ الكاتب وصفه العلائقي بتوضيح علاقة أدهم بأسرته، وكيف كان محط أنظار أسرته وموضع عنايتها،وغاية أملها وقد بذل الأبوان قُصارى جهدهما؛ لتحقيق غايتهما وأملهما فيه، وما إن غرب هذا الأمل وانزوى ولم يتحقق؛ مات الأبوان متحسرين عليه، وبدأ الوصف يأخذ دلالة اللاعلاقة أو الانقطاع الأسري؛ فصار أدهم في حياته وحيدًا، وبعيدًا كل البعد عما يربطه بأهله وقريته.

بالنظر إلى ما سبق وفي ضوء العرض السابق لإستراتيجية الوصف العلائقي، التي ألقت الضوء على شخصيتين رئيستين في هذا العمل الأدبي وأوضحت علاقتهما بمن حولهما، تمثل إحداهما الطبقة الغنية الأرستقراطية، وتمثل الأخرى الطبقة الفقيرة الكادحة. نلحظ من ذلك تجلي البعدين الخطابي والاجتماعي لهذا الوصف.ففي بعده الخطابي قصد الكاتب من ورائه إلى تبئير هاتين الشخصيتين؛ انطلاقاً من كونهما المحور الارتكازيّ لأسرهم وواسطة عقدها ومحط أنظارها.

وفي بعده الاجتماعي كانت شخصية أدهم بالنسبة إلى طبقة الفقراء كان هو الأمل المنشود الذي يحيون عليه، وحينما غرب هذا الأمل وخاب وانزوى تأثرت هذه الأسرة، وتفككت وانقطعت العلاقة ومات الأبوان وكأنهما كانا يعيشان على أمل تحقيق حلمهما في تعليم ابنهما؛ ليكون سبباً لنقلهما من هذا الفقر والعوز.أما الطبقة الغنية فإن أفرادها كانوا سبباً في فشل هذا العنصر الشبابي؛

١- بنك القلق، ص٣٦

إذ بالغوا في التدليل وتركوا الحبل على الغارب دونما حساب أو عقاب، ولم يؤثر فيهم هذا الفشل تأثيرا كبيرًا؛ يشعرون بتأنيب الذات فحسب.

أ- الوصف العلائقي الامتدادي للأحداث:

ويقصد به علاقة وصف الأحداث الاستهلاليّة بمجريات الأحداث في درج العمل الأدبي وعلى مداره، وارتباطها ارتباطاً دلاليًّا علائقيًّا. فنجد الكاتب في مستهل عمله يصف لنا صالة (ملهى ليليّ)، وهي تضم أطيافاً من مختلف الفئات والأعمار، وكأن هذه الصالة هي مسرح أحداث هذا العمل الأدبي، ومن فيها يمثلون شخصياته؛ فكان هذا الوصف الاستباقي المبهم – إلى حدٍ ما–معادلا موضوعيا للأحداث والشخصيات المفسّرة له داخل العمل الأدبي.وقد ألمح الكاتب – وهو يصف هذه الصالة– إلى أحداث كثيرة، تناولها في سياق العمل الأدبي، ولكن كان الحدثان الرئيسان اللذان تدور في فلكهما المسرواية من أبرز ما ألمح إليه، وهما: فكرة إنشاء بنك القلق، وكذلك حدث الليلة المشئومة الذي عصف بكيان أسرة عادل بك عاطف.

ب- العلاقة الامتدادية التفسيرية لوصف الأحداث:

ألمح الكاتب في مستهل عمله الأدبي إلى نمط علائقي جديد، يرتبط بالدلالة اللغوية لسياق الحدث،و هي العلاقة التي توظف لكشف الدلالات الغامضة أو الملبسة. فهو يلقي الضوء على شخصية أدهم سليمان الذي دخل الصالة خلسة مدفوعاً بالفضول والفراغ وقد أعدَّ جواباً سريعاً لمن يسأله عن سبب وجوده، بعبارة مبهمة، في قوله: "وباله هذا لم يخذله يوما في اختراع ما لا وجود له"(١)

ويفسر الكاتب هذا الوصف الاستباقي المبهم بنص آخر يوضحه، وذلك في درج هذا العمل الأدبي وهو يشرح لزميله فكرة إنشاء البنك وأهميتها عنده، ومتى بدأت تراود خاطره يقول:" أنا الآن أتكلم بجد افتح أذنيك جيدًا واستمع إلى ما أقول؛ لأن هذه الفكرة مهمة جدا، وليست بنت ساعتها، إنها تراودني من زمن

١– بنك القلق، ص٨

وكنت أتحين الفرص لوضعها موضع التنفيذ.... هي أن نؤسس بنكـــاً....الواقع أن الفكرة في غاية البساطة وغاية الوضوح وقد وضعتُ يـدي عليهـا تمامـــاً ...البنك الذي سنفتحه سيتعامل في القلق....معاملاتنا ستكون في صنف القلق."[١]

فما ألمح إليه الكاتب في وصفه الاستهلالي لشخصية أدهـم سـليمان فـي عبارة: "وباله هذا لم يخذله في اختراع ما لاوجود له" قد فسره بعبارة "البنك الذي سنفتحه سيتعامل في القلق"، و (أدهم) بوصفه المرسل لهذا الخطـاب الوصـفي التفسيري إلى مخاطبه، وهو زميله (شعبان جاد عوضين)، حيث هدف إلى دعـم الفكرة وترسيخها في ذهن زميله لإقناعه بها؛ فظل يحدثه عنها ويشوقه إليهـا؛ ليشد ذهنه ويسترعيه، ثم آخرًا ذكر له الفكرة، موظفـاً في هذا الإطـار الـدلالي مقويات تركيبية؛ لتقوية إنجازه اللغوي، ومنها ما يأتي:

- فقد وظـف ضـمائر المـتكلم الإفراديـة الظاهرة(متصـلة ومنفصـلة)، و(المستترة) ؛ ليؤكد لمخاطبه حضوره الآني، وليؤكد كذلك ملكيته لهذه الفكرة ؛ وقصرها عليه ؛ فهي خاصة به؛ إذ استهل حديثـه بضـمير المـتكلم الإفـرادي المنفصل (أنا)، ثم أتبعه بالضمائر المتصلة والمستترة في التراكيب الفعلية(أتكلم – أقول – أتحين– تراودني– وضعتُ – كنتُ) كما أحال –إشاريـــاً– بـالظرف الآني(الآن)؛ ليؤكد حضوره الآني وليدعم فكرة وجودها في ذهنه "منذ أمد بعيـد والآن حان وقت التنفيذ".ولمّا حان الوقت لإخراج الفكرة إلى النور وتنفيذها أحال في خطابه استعمال ضمائر المتكلمين الجمعية(المستترة والمتصلة) (نؤسـس– سنفتحه – معاملاتنا)؛ ليؤكد لزميله أن اشتراكه معه في تنفيذها بات ضروريًّا، ولا مفر منه، كما نجده موظفا شبه الجملة(بجد) بوصفها مقويًّا تركيبيًّا؛ بهدف ألا يدع لزميله مجالا للسخرية من فكرته؛ فقد يحمل كلامه على محمل الهزل أو المـزاح ومن ثم تضيع الفكرة، ولاسيما أنها فكرة مخترعة غير مسبوقة، قد لا تلقى قبولا لدى بعض الناس ، و قد يسخر منها بعضهم؛ إذ من الغريب أن يكون للقلق بنك.

كما وظف المرسل مقويات خطابيّة إنجازيّة بلاغيّة تمثلت في:

١- السابق ص٢٣-٢٥

- المجاز الظاهر في عبارة (البنك الذي سنفتحه سيتعامل في القلق)؛إذ خرجت هذه العبارة عن المألوف، وهو أن البنوك يودع فيها كل ما هو مادي وليس معنويًّا؛ فاتخذت الدلالة مسارًا مجازيًّا بعيدا عن اللغة التقريريّة المباشرة، وهذا من شأنه أن يلفت انتباه المخاطب؛ فيزداد تفاعلا مع الفكرة، ومن ثم يقتنع بها.

- المقويات الإنجازية البلاغية – كذلك– في توظيفه للجمل الإنشائية الطلبية، نحو: (افتح أذنيك جيدًا)، (استمع إلى ما أقوله). إذ يلتمس من زميله أن يصغي إلى ما يقوله جيدًا؛ حتى ترسخ الفكرة في ذهنه، ويقتنع بها ويكون قادرًا على تنفيذها معه.

كما وظّف مقويات إنجازية خطابية دلالية تتمثل فيما يأتي:

- استعماله للتعليل وذكر الأسباب التي جعلته يلتمس من زميله الإصغاء جيدا له، وهو يعرض فكرته؛ و هذه الأسباب هي كون الفكرة: مهمة جدا – تراودني منذ زمن – غاية البساطة – غاية الوضوح. وهي عبارات مكثفة دلاليًّا، وصل بها المتكلم إلى أعلى معدلاتها الدلالية بتوظيفه لكلمات: (جدا – منذ زمن – غاية). فهو يؤصل لفكرته ويقويها ويرسخها في ذهن صاحبه ويؤكد وضوح ملامحها في ذهنه واكتمال أبعادها، فلم يتبق سوى التنفيذ. و ذلك عن طريق ممارسة الكاتب سلطة الخطاب في هذا الإطار الدلالي المفسِّر بتوظيفه مقويات تركيبية وبلاغية ودلالية ؛لإيضاح الصورة في ذهن المخاطب وإيصال الفكرة له بوسائل متعددة؛ ليقتنع بها ويتفاعل معها.

كما نجده على الجانب الآخر يلمح للبعد الاجتماعي لهذا الإطار الدلالي الذي ألقى الضوء بصورة تلميحيّة على الحالة التي كان عليها المجتمع آنذاك. فقد بات القلق يراود أكثر الناس؛ فكان كالعملة المتداولة بين أفراد المجتمع، فكلٌ لديه سبب لقلقه، وقد اتضح هذا جليًّا في العمل الأدبي في تعدد زبائن بنك القلق وتعدد أطيافهم واختلاف أسباب قلقهم.

والحدث الثاني الأبرز في مجرى أحداث العمل الأدبي قد ألمح إليه الكاتب في مستهل عمله قائلا:" لم يكن على هذه المائدة غير سيدتين. سيدة شابة في

نحو الثلاثين، أنيقة مليحة...أما صاحبتها فسيدة تقترب من الخمسين، كان لمنظر اللهيب هذا تأثير غريب على السيدتين. فقد اهتزتا من مقعديهما، وخامرتهما في وقت واحد فكرة النهوض السريع والانصراف كالهرب من شيء مخيف، لكنهما تماسكتا ثم فاجأت كل منهما الأخرى بنظرة رعب لم تلبث أن انطفأت في إطراقة ذات معنى صورة النار لها ولا شك دلالة مشتركة بينها"[١]

فالتلميح الاستباقي الظاهر من عبارتي "في إطراقة ذات معنى"، " صورة النار لها ولا شك دلالة مشتركة بينها"، قد فسّره الكاتب؛ قاصدًا إلقاء الضوء على الكارثة التي تعدُّ نقطة تحول في حياة هذه الأسرة كلها، يقول مفصّلا القول:" فطنت إلى زوجها وهو ينْسلّ من جانبها في الفراش ويخرج من الحجرة، ظنته ذهب يقضي حاجة لكن غيبته طالت وخافت عليه، ونهضت تتحرى الخبر وعند اقترابها من حجرة أختها فاطمة سمعت أصواتاً غريبة، فوضعت عينها على ثقب الباب فأبصرت الكارثة!.....تماسكت حتى لا تقع على الأرض، وكتمت فمها بيدها حتى لا تنطلق منها صيحة وارتمت في فراشها ودسَّت وجهها في الوسادة وغابت عن الوعي.

مضت ساعات وأفاقت فوجدت زوجها إلى جوارها نائماً يغِطّ. كان قد عاد ولم يفطن إلى ما بها إلى الصدمة التي زلزلتها، نظرت إليه وهو راقد في نوم عميق لذيذ، وأيقنت أن حياتها معه قد غدت مستحيلة، بل مجرد حياتها لم تعد في الإمكان...ولم تشعر بنفسها وهي تخرج من الحجرة إلى المطبخ، وتحضر كوزًا مملوءًا بالبترول تصبه على زوجها النائم وتشعل فيه النار، ثم تطرح جسمها بجواره معانقة إياه ليشتعلا معاً ميتة بالنار قد يكون فيها –أيضًا– معنى التطهير، وهبَّ زوجها واللهب يلفه ويلفها؛ فدفعها عنه بعيدًا، وألقى عليها أغطية الفراش فأنقذها من الموت.أما هو فظل يجري هنا وهناك بلهبه وهو يصيح طالباً النجدة، ودخل الحمام محاولا إطفاء النار بإلقاء جسمه في الحوض لكن

١- بنك القلق ص١٢-١٣

امتلاء الحوض احتاج إلى وقت كانت النار قد تمكنت منه وعندما خفَّ الجميع ؛ لإسعافه كان إنقاذه قد فات أوانه"[١]

للتشكيل اللغوي في هذا السرد الحكائي وظيفة جلية في التأثير الانفعالي المباشر، عن طريق توظيف ما يسمى بالسلاسل اللفظية[٢] التي تمثلت في الوحدات التركيبية الفعلية المناسبة لهذه الأحداث، وهذه الوحدات ذات علاقة تراتبية. فقد استطاع الكاتب أن يصف لقارئه هذا الحدث وصفاً تأثيريًّا انفعاليًّا جارفاً، جعل المخاطب منفعلا مع تلك الأحداث المتلاحقة المتسارعة متفاعلا معها؛ فالحدث يسرد تلو الآخر في سرعة تجعل القاريء يأبى التقاط أنفاسه حتى يتم القراءة؛ شوقاً ولهفة، وتطلعاً لمعرفة النتيجة، وقد زادت الأحداث سرعة، وزاد معها انفعال المخاطب والتأثير فيه باستعمال الرابط(الفاء) في هذه السلسلة اللفظية الثنائية في قوله:(فوضعت عينها ....فأبصرت الكارثة) التي كان وقعها النفسي على الزوجة أليماً ؛ فلم تبدِ أيَّ رد فعلٍ لما رأته بعينها.

ويعود الكاتب موظفاً سلاسل لفظية خماسية يربط بينها بالواو؛ ليصف لنا نتيجة هذا الحدث بمجموعة من الأحداث الصامتة، (تماسكت – كتمت– ارتمت – دسَّت – غابت)؛ فقد آثرت الزوجة ذلك؛ خشية الفضيحة التي تتعرض لها الأسرة بأكملها، ثم يصل الكاتب بالأحداث إلى أعلى معدل انفعالي تأثيري؛ فقد مزج فيه بين الروابط العاطفة المختلفة؛ ليخلق سلاسل لفظية ذات وحدات تركيبية فعلية، وذلك في مقام توهج الأحداث واشتعالها؛ فالوقع النفسيّ المؤلم للكارثة على الزوجة جعلها، دون أن تشعر، تشعل النار في زوجها، ثم تطرح جسمها بجواره.

١- بنك القلق ص٢٢٥-٢٢٤

٢- والمقصود بها: الأفعال ،أو الأسماء ،أو الصفات، أو الأحوال التي ربط بينها بحرف من حروف العطف مثل (الواو – الفاء – ثم – أو) وهذه السلاسل تتعامل بوصفها وحدة تركيبية لها مرجع واحد ،وتشير جميعا إلى حدث واحد.

ــ وهي ليست مجرد أدوات تزينية، وعندما تتردد تلك السلاسل خلال الخطاب تعمل على خلق تأثير انفعالي مباشر، وهي تقع على نطاق واسع عندما تركز على الأفكار تركيزًا حماسيًّا قويًّا ، فالمرسل يقصد إلى تلك السلاسل قصدًا مباشرًا عند رغبته في ممارسة تأثير جارف على عقول المستقبلين، وتمتاز غالبًا بالعطف ، وحرف العطف الأكثر شيوعا هو (الواو) ، انظر : عدنان ج .ر . الجبوري – بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي –اختارها ونقلها إلى العربية د/ محمد العبد – الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – القاهرة – مصر ٢٠١٣م – ص ٧٢-٧٦

ويوظف الكاتب السلاسل اللفظية ذات الوحدات التركيبية الفعلية بمرجع آخر مختلف، وهو (الزوج) مازجـًا فيها بين رابطي (الواو)، (الفـاء) فـي الأفعـال (وألقى – فدفعها – فأنقذها)

ثم يختم الكاتب هذا السرد الحكائي المشوق بسؤال يبدو للقاريء تقريريًّا ؛ ملقيا كذلك الضوء على أثر هذه النيران في ميرفت الطفلـة الصـغيرة، ووقعهـا النفسي عليها؛ قاصدًا من ذلك تفسير إبهام الإطار الدلالي للحدث الاستباقي الآنف الذكر. يقول:" لكن من المنبع الحقيقي للمأساة؟ إنها هي فاطمة....الشعلة الأولى لهذه النار التي شبَّت في هذا البيت لا يمكن أن تنسى وجه الصغيرة ميرفت الطفلة بنت السادسة وقتئذٍ ...وقد تجمد من الرعب لمنظر أبيها المتدثر باللهب، وهـو يصيح وكل من في البيت قد هبَّ لصياحه....لبثت ميرفت فترات طويلة من حياتها تفزع لمرآى النيران...."[١]

نلمس من هذا العرض الحكـائي ذي التـأثير الانفعـالي الجـارف البعـد الاجتماعي له.

حيث إن طبقتا المجتمع قد التقتا في مكان واحد ومعيشة واحدة، وحـدث التغيير، وضاقت الهوة الواسعة التي كانت بينهما وبدأ الاحتكاك؛ فحدثت الكارثة . فها هو عادل عاطف بك ابن الطبقة الغنية قد تزوج من فتاة تنتمي إلـى الطبقـة الكادحة المستأجرة الفقيرة، وواجه حربـًا ضروسـًا من أسرته؛ اعتراضـًا على رغبته في الزواج من ابنة الطبقة الفقيرة، غير أنه أصرَّ وتزوجهـا، ثـم مـات أبواها؛ فالتحقت بها أختها الصغرى (فاطمة)؛ لتقيم معها.

وقد انبهرت فاطمة بهذه الحياة التي لم تعتد عليها، كما انبهرت بزوج أختها الغني الوسيم انبهارًا جعلها تنسى ما نشأت عليه مـن مبـاديء وقيم.أمـا زوج أختها؛ فكان ينظر إلى أبناء الطبقة الفقيرة نظرة المالك إلى المستأجر، أو نظـرة السيد لخادمه ؛ فمباح لهم كل ما يملكه هؤلاء الفقراء حتى لو كـان أغلـى مـا يملكون.

١- بنك القلق ص٢٢٧

سادساً : إستراتيجية التعمية أو التضليل:

وأقصد بها افتقار المتكلم إلى صدق الحديث؛ فيعمد إلى تضليل مخاطبه بإعطائه معلومات مغايرة أو بإيهامه بالتضامن، و ذلك لأسباب يقتضيها السياق.ويمكن أن نطلق عليها – كذلك –"إستراتيجية السفسطة اللغوية". و ظهرت هذه الإستراتيجية واضحة في هذا العمل، ولا سيما في مقام التعصب السياسي أو الحزبي، أو في التعبير عن الجانب السياسي، و ما يعتريه من انقسامات و تناقضات و اختلافات حزبية، غالباً ما تكون عقب الثورات، وتؤثر سلباً في المجتمع، وهذا ما يلاحظه القارئ بوضوح في حوارات بعض شخصيات هذا العمل، و منها حوار التعارف الدائر بين أدهم سليمان و منير عاطف بك. نحو:

- منير : ما هو موقفك السياسي؟
- أدهم : موقفي السياسي ؟ .... في الواقع لم أحدده بعد .

فالتشكيل اللغوي يشير إلى أن اللغة في استعمالها –هنا– خالفت الواقع، فالسؤال المباغت الموجه من المتكلم (منير بك) إلى أدهم، قد قابله الأخير بما يخالف الواقع اللغوي، و يخرق مبدأ الكيف[١] الذي يجب أن تكون عليه الإجابة، فيجيب عن السؤال، بسؤال تعجبي، يكرر فيه المعنى نفسه، و كأنه يريد التأكد، هل هو حقاً، يتكلم عن الموقف السياسي هكذا دون خوف أو قلق؟ ثم يجيب عن السؤال نفسه الذي كرره ، ولكن إجابته تفتقر إلى صدق الحديث، إجابة لا يصدقها عقل، قاصدًا من ورائها تضليل مخاطبه؛ خوفاً و قلقاً من الإفصاح عن اتجاهه السياسي، وذلك في قوله:"في الواقع لم أحدده بعد".

ولكن الافتراض المسبق[٢]و المخزون المعرفي لدى المتكلم بشخص المخاطب جعله يدرك أن ما ذكره ليس صحيحاً، و أنه –بالتأكيد–يعتنق اتجاهاً سياسياً ما. فيستفهم متعجباً: "أهذا ممكن؟ رجل مثلك كان في الاعتقال بسبب آرائه كما تقول أنت نفسك ... إذن لك موقف سياسي محدد" .

١– انظر:الاستلزام الحواري– ص٩٩–١٠٠

٢– انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر– ص٢٩

و هنا علت سلطة الواقع الاجتماعي للشخصيات على سلطة الخطاب ذاتـــه؛ إذ لم يعبر الخطاب تعبيرًا صادقـــاً عن الاتجاه السياسي للشخصيات، و تأتّي هـــذا للكاتب بشكل مقصود، و هو ما يمكن تسميته بـــ "التضليل اللغوي" .فيظل التشكيل اللغوي لوصف الاتجاه السياسي خارقـــاً لحقيقة واقع الشخصية على الرغم مـــن إدراك الطرف الآخر لهذه الحقيقة، كما يكشفها السياق الآتي:

- منير: لا داعي للف و الدوران...قل لي بصراحة يا أستاذ أدهم هل أنـــت مع النظام؟
- أدهم: و أنت ؟
- منير: أنا طبعـــاً مع النظام .
- أدهم: و أنا مثلك .
- منير: صاحبك متولي سعد قالي إنك يساري متطرف.
- أدهم: و هل هذا الشيء يخيفك ؟
- منير: أنا سيان عندي[١].

نجد أن الطرفين يعلنان تضامنهما معا في الموقف السياسي، بينما يبطنان غير ذلك؛ قلقـــاً و خشية من المساءلة و سوء العاقبة. فالتقابل الواضـــح بـــين التشكيل اللغوي و المقصد الحقيقي قد أضعف سلطة الخطاب و خرق مبدأ الكيـــف – أحد مبادئ التعاون الحواري– الذي يشترط صدق الحوار بـــين المتحـــاورين، ويؤيد ذلك إطار دلالي آخر يوضح اتجاه منير بك الحقيقي، و ذلك في مجلس لـــه مع بعض الفلاحين المستأجرين لديه، يقول لهم: "أنا مع الثورة و أحب الثورة أنا اشتراكي،و كل مافعلته الثورة خير و عدل و إصلاح، لكن– يعني بذمتك والشهادة لله– كانت أيامنا سيئة ؟ ألم نكن نوزع عليكم الكساوي فـــي المواســـم و نـــذبح الذبائح في الأعياد و نجعل الخير عليكم يعمُّ ؟ ثم يلتفت إلى متولي و يهمس فـــي أذنه أن الثورة المباركة تنفخ في قربة مقطوعة؛ لأن الفلاحين غير قديرين علـــى الإنتاج و أن الإنتاج الزراعي ساء حاله اليوم و تدهور ثم لا يلبث أن يـــأتي مـــن

١– بنك القلق ص٩٦

يبلغه بأرقام المحاصيل عند المستأجرين لديه تلك السنة فإذا هي مرتفعة، فيلتفت هامسـاً، تصور أن هذا الفلاح الماكر كان على أيامنا يتكاسـل و يتغافـل، والآن عندما أصبح المحصول له يكد و يعمل بيديه و أسنانه، ثم يفطن إلى نفسه فيعود حالًا إلى الترنم بأمجاد الثورة "[١]

يلاحظ أن المرسل وظف ضمائر المتكلم الظـاهرة و المسـتترة، و كـذلك عبارة (أحب الثورة) و العبارة ذات الدلالة الكلية و التعددية (و كـل مـا فعلتـه الثورة خير و عدل و إصلاح). و كلها آليات لغوية لا تتفق مع الواقـع و تؤكـد سياسة الكيل بمكيالين،التي يتبعها المتكلم لإقنـاع مخاطبـه و إظهـاره بمظهـر المتضامن و المؤيد للثورة، ثم يستدرك على نفسه متسائلًا تسـاؤلات تقريريـة، مسترجعـاً ماضيه و أمجاده قبل الثورة هامسـاً: إن الثورة لم تفعل شيئـاً وكل ما تفعله هباءً؛ وذلك خوفـاً من المساءلة، وتنصلا من مسـئولية كلامـه عـن الثورة.

و هكذا ظلت الإستراتيجية التضامنية التضليلية،أو المفارقة القضوية علـى هذا المنوال (الكلام و نقيضه)؛خوفـاً من عواقب الإفصاح عن الاتجاه السياسي، كما منحت القارئ فرصة التعرف على الحقيقة من جانبيها في الوقت نفسه، حتى بدأ بنك القلق في ممارسة نشاطه؛ هنالك أخذت شخصيات العمل الأدبي يجـدون متنفسـاً لهم، و منصة يفصحون فيها عن مذاهبهم و اتجاهاتهم السياسية ، كما سنرى فيما بعد.

١- بنك القلق، ص١٢٥

المبحث الثاني: الوظائف الاتصالية للوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعي

و يقصد بها الوظائف الإبلاغية التي يؤديها الوصف داخل الإطار الدلالي. و تتحدد هذه الوظائف بناءً على ممارسة المرسل لسلطة الخطاب. تلك الركيزة الأساسية التي تنظم عملية الإنتاج الرمزي للخطاب و تحدد مقصده و أبعاده المتنوعة. و قد تنوعت الوظائف التي يؤديها الوصف في هذا العمل الأدبي، و من أبرزها ما جاء على النحو الآتي:

أولًا : الوظيفة التصويرية:

و يقصد بها –هنا– نقل صورة تمثيلية موحية و مُشاكِلة للواقع من جوانب متعددة؛ تمهيدًا لوصفها وصفًا دقيقًا تفصيليًّا و تفسيريًّا .و قد رسم الكاتب بكلماته – في مستهل عمله الأدبي – لوحة فنية تلميحيّة رائعة بدقة و إتقان، و هو يصف لقارئه صالة ملهى ليليّ – بوصفها مسرحًا للأحداث – وصفًا فنيًّا تصويريًّا حركيًّا، وقد دعَّم هذا الوصف بآليات لغوية تقويّه، كما اشتمل سياق قوله الآتي: "ناطحة سحاب عجيبة في تركيبها يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار. إنها ليست من أحجار ، بل من آدميين استلقى أحدهم على ظهره فوق المسرح، و رفع قدميه إلى أعلى، و جاء آخر فقفز فوق القدم اليمنى، وجاء ثالث فقفز فوق اليسرى، و رابع تسلق كتفي رجل اليمين، و خامس تسلق كتفي رجل اليسار،و إذا بسادس أو على الأصح سادسة حسناء ظهرت و انحنت تحيي الجماهير برأس فاحم قصير الشعر، و قفزت هي الأخرى قفزة لا يدري أحد كيف حدثت فإذا هي في قمة هذا البناء الشامخ، و لم تمض لحظة حتى أقبل صبي يحمل صينية عليها أكواب و آنية بها شراب أحمر قذف بها هو الآخر فتلقفها أحد الرجال، و ظل يسلمها إلى الطوابق التي فوقه طابقًا طابقًا حتى استقرت في يد الحسناء بالقمة فتناولتها و وضعتها على رأسها، و صَّبت في الآنية الشراب الأحمر في الكؤوس دون أن تستند بيدها بينما جماهير الصالة تنظر و تصفق."[١]

١– بنك القلق ص٨

اعتمد الكاتب في وصفه التصويري على تشكيل لغوي خطابي أبرزه وأوضحه و زاده فنية و إتقاناً، و ذلك في الصورة الآتية:

- المركَّب الاسمي الذي استهل به وصفه التصويري(ناطحة سحاب عجيبة في تركيبها).فقد حُذِف أحد ركنيه وهو المبتدأ، وهذا الحذف أدعى لإثارة ذهن المتلقي ونشاطه واسترعاء فكره و شعوره، و تطلعه إلى معرفة ما يجهله، يقول الشيخ عبدالقاهر(ت٤٧٤هـ) في الحذف: "بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذالم تبن"[١]

وقد أكسب هذا المركب العبارة دقة و إحكاما و وضوحاً في ذهن المتلقي، إذ غدا الوصف أشبه بصورة فوتوغرافية ثابتة، جعلت المتلقي أكثر استيعاباً، كما تجلت فنية الوصف وروعته في هذا التشبيه البليغ الكامن في هذه العبارة؛ إذ يشبه التراصّ الآدميّ القائم بعضه فوق بعضه بناطحة سحاب؛ ليقرب الصورة في ذهن المتلقي، و يدفع في الوقت – ذاته– ما قد يتوهمه القارئ من أنها ناطحة سحاب حقيقية فيؤكد(إنها ليست من أحجار). و لعل القارئ يلاحظ تحري الكاتب الدقة في هذا الوصف؛ ضماناً لإيصاله بصورته الكاملة و الصحيحة إلى المتلقي. وهناك من مظاهر دقته الوصفية – أيضا– ما يدعم ذلك، وأبرز هذه المظاهر:

- دفع التوهم عن القارئ، واستدراكه المعنوي بعبارة (على الأصح) في قوله: "و إذا بسادس أو على الأصح سادسة"

- استعماله الأعداد وهو يكسب الوصف المنطقية؛ و من ثمَّ يمنح دلالته المصداقية، التي تجعل القارئ يتفاعل مع النص و يكترث به، و ذلك في قوله: يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار، و جاء ثالث ...، و رابع....، و خامس ....، وسادس أو على الأصح سادسة .

١– دلائل الإعجاز– عبدالقاهر الجرجاني – تحقيق : محمود شاكر – مطبعة المدني – ط٣– ١٩٩٢، ص١٤٦.

- الإحالة بالضمائر؛ فهي تسهم في الربط النصي و الدقة اللغوية؛ إذ تغني عن تكرار اللفظ في النص الذي قد يؤدي إلى الخلط و التشويش على المتلقي، و ذلك في إحالته إلى الحسناء المذكورة في النص، في قوله:"وقفزت هي الأخرى قفزة ...فإذا هي ...فتناولتها ووضعتها على رأسها ...بيدها...."

- توظيف النعوت وهي من الآليات اللغوية التي تطيل الكلام لفوائد مقاميّة، حتى عدّه إمام البلاغيين جانبا من العلم حيث قال: "هل ظَننتُم أنَّ وراءَ ذلك علماً، وأن ههنا صِفةً تُخصِّص، وصفةً تُوضح وتُبين، وأن فائدةَ التخصيص غيرُ فائدةِ التَّوضيح، كما أن فائدةَ الشِّياع غيرُ فائدةِ الإبهام"[1].حيث جمع الكاتب بين وظيفتي النعت في النعوت التي ذكرها هنا، فالتوضيح مستفاد من مثل قوله:"ناطحة سحاب عجيبة يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار"، وقوله:" برأس فاحم قصير الشعر"، و "البناء الشامخ"، والتخصيص مستفاد من مثل قوله" شراب أحمر" ...إلخ.

كما استعان الكاتب في وصفه التصويري بالسلاسل اللفظية، ووظيفتها، واصفا تفاصيل هذا البناء الآدمي و رابطا بين عناصره و مكوناته بروابط العطف (الواو/ الفاء)، تلك الروابط التي تدعم سمة تعددية الأحداث و ترتيبها و سرعتها. فهو يربط بالواو بين الحدث و ما يليه كما في قوله:" استلقى أحدهم على ظهره فوق المسرح ورفع قدميه إلى أعلى". أما الأحداث التي تتضمن الدلالة على السرعة؛ فيربط بينها بالفاء؛ لإفادة الترتيب السريع كما في الفعل(قفز)

- كما اعتمد الكاتب في وصفه للصورة التمثيلية المتحركة – تلك التي يحركها فاعلون آدميون في مظهر حسيّ واضح وجليّ-على المركبات الفعلية التي اتخذها منطلقاً؛ ليعبر بها عن الأحداث وحركات الشخصيات الفواعل، وانتقالها وطرائق تصرفها، وذلك في الأفعال، نحو:(استلقى- رفع- جاء- قفز – تسلق- تسلق- ظهرت –انحنت- تحيي – قفزت- يدري- حدثت – تمضي –

١- دلائل الإعجاز : ١ / ٣٠

يحمل- - قذف- تلقفها- ظل – يسلمها- استقرت- تناولتها- وضعتها- صبَّت – تستند – تنظر- تصفق).

فالتشكيل اللغوي لهذا الإطار الدلالي ذي التصوير التمثيلي المتحرك منح دلالة الوصف صورة حيَّة وواقعية، وصار المشهد المصوَّر مرئيًّا للقاريء بوضوح. كما عُني الكاتب بالوصف التصويري للمشهد، بغرض التعبير عن رؤية ساخرة من الوضع السائد آنذاك، إذ يستمر ناقلا لقارئه مشهدًا مصورًا متحركًا لهذه الصالة المائجة بالأحداث والأشخاص من مختلف فئات المجتمع. يقول:" ....كل واحد من هؤلاء المتشعلقين في الفضاء، بل كل واحد من الناس في الصالة له قصة قلقه. هكذا كان يفكر أدهم وهو مستند بكوعه إلى الباب، لا يدري متى يطرد من هذا المكان الذي دخله خلسة وحوّل بصره إلى الصالة التي عبق جوها بعطور الغواني والسيدات ممتزجة برائحة الكباب المشوي ...إلى تلك الموائد التي يجلس إليها نساء مع رجال ذوي جيوب سمينة كضروع البقر على المذاود أمامهم الطعام والشراب وآنية الثلج الفضية كأنها الجَرّة التي يُحلب فيها لبن هذا البقر. والحالبات موجودات. راقصات وغانيات تدربن على الملاطفة والملاعبة أثناء حلب الجيوب، في صورة زجاجات وكؤوس تسيل بلا انقطاع، مستعينات في أعمالهن بسقاةٍ و" جرسونات" واقفين عن قرب، بين عيونهن وعيونهم سلك كهربائي أسرع وأبلغ من كل زر أو جرس...كل من في الصالة من حالب ومحلوب تبدو على وجهة صورة انفعالية واحدة أمام النمرة التي تعرض فوق المسرح. لكن خلف هذه الصورة الواحدة آلاف وملايين من الصور المتعددة غير المكررة لأنواع من قصص القلق النفسي والجسماني تدمغ كل فرد بدمغة مختلفة كبصمات أصابع اليد"[١]

ففي هذا الإطار الدلالي الواصف، الذي استهل الكاتب به عمله الأدبي نجده يمكِّن للحدث الأبرز الذي عليه مدار هذا العمل الأدبي، وهو فكرة إنشاء بنك القلق، ويُلمح لمبررات إنشائه، وضرورة ذلك، حيث وظّف تشكيلا لغويًّا، أعانه

١- بنك القلق ص١١٠-١١١

على دعم فكرة إنشاء هذا البنك؛ مستعينـاً في ذلك بآلية (التـدرج فـي العمـوم الدلالي). فيبدأ –أولا– بتعميم القلق على كل أفـراد ناطحـة السـحاب الآدميـة، العالقين في الفضاء، ثم يُضرب عن هذا التعميم الخاص؛ ليوسّع دائـرة القلـق ؛ لتشمل كل الموجودين في الصالة بمختلف أطيافهم على حدٍ سواء، وأخيرا يصـل بفكرة القلق إلى معدل تعميميّ أوسع وأشمل؛ مستعينا في ذلك بصـيغ الجمـوع المتنوعة (الصور – أنواع – قصص – بصمات)، وكذا الكلمـات الدالـة علـى التنوع والتعدد(المتعددة – غير المكررة – مختلفة)، فضلا على توظيفه لأعـداد تدل –ضمنيـاً– على الشمول والعموم، وذلك في العبارة التذييليّة للإطار الـدلالي المذكور آنفا، كما في قوله:" لكن خلف هذه الصورة الواحدة آلاف وملايين مـن الصور المتعددة غير المكررة لأنواع من قصص القلق النفسي والجسماني تـدمغ كل فرد بدمغة مختلفة كبصمات أصابع اليد"

كما أرسى التشكيل اللغوي دعائم هذا الوصف ذي الوظيفـة التصـويرية، ورسّخ أسسه الفنية والتعبيرية؛ حيث هيمنت الدلالة المجازية والرمزيـة علـى الإطار الدلالي الواصف؛ فغدا مشهدًا حيـاً مرئيًّا بوضـوح، فشـبه الراقصـات والغانيات ومن يعاونهن من السقاة بصورة الحالب الذي يحلب ضـرع البقـرة ؛ ليحصل على اللبن. وصوّر الرجال الأغنياء الموجودين في الصالة الذين يـدفعون أموالهم في مقابل تناول الطعام والشراب والتسلية بصورة المحلـوب أو البقـر. والرابط بين طرفي هذه الصورة المجازية هو استغلال طرف لطرف آخر في مقابل الحصول على منفعة.

ويمكن القول إن البعد الخطابي لهذا الوصف التصويري يمكّن لفكرة القلق تمكينـاً استباقيًّا؛ إذ لم تنشأ من فراغ، بل لها مبررات وضرورات لإنشائها، مما أبرز البعد الاجتماعي لهذا النوع من الوصف؛ فهذا الهرج والمرج والعبث بالحياة السائد في هذه الصالة بين أطياف مختلفة من الناس نساء ورجال يعكس القلـق من الأوضاع العامة، التي يمر بها المجتمع آنذاك وفرارهم منه إلـى مثـل هـذه الأماكن.

- **ثانياً : الوظيفة الاتصالية الإخبارية للوصف**:

وتتحقق الوظيفة الاتصالية الإخبارية للوصف بما يقوم به الوصف من إمداد المخاطب بمعلومات عن شخصيات أو أحداث؛ بغية تبئيرها أو تعميقها بإلقاء الضوء عليها. فهذه هي" فاطمة هانم" تصف لـ"شعبان جاد عوضين" نشأتها الريفية البسيطة، وذلك بعدما توطدت العلاقة بينهما، والتقيا منفردين أكثر من مرة، تقول:" أنا نشأت في أسرة فقيرة بسيطة...كما قلت لك...أبي كان معاون إدارة مركز في الريف لم يكن في بيتنا الصغير حنفيات ماء كنا نشرب من الزير وكنا نطحن قمحنا ونقوم من الفجر نعجن ونخبز خبزنا بأيدينا ومع ذلك علمنا والدنا أنا وأختي في المدارس وكان كل ما يطمع فيه أن يراني يوماً مدرسة بنات الأقاليم."(١)

فقد أرسى التشكيل اللغوي لهذا الوصف دعائم إخباريته؛ فجاء بلغة تقريرية حكائية مباشرة بعيدة عن المجاز أو التلميح أو الرمز؛ فقد استعان الكاتب بآليات لغوية من شأنها إعانة المتلقي على الإلمام بالمعلومات المراد إيصالها إليه بأقرب الطرائق الخطابية وأيسرها، ومنها:

- الإحالة بضمائر المتكلم

فترد الإحالة بالضمائر (الإفرادية) المنفصلة والمتصلة؛ تأكيدًا للحضور الآني للمتكلم، وأن هذا السرد أو الحَكْي الوصفي الإخباري جاء على لسانها، وهذا يزيد الإخبار مصداقية، ومن ثمَّ يزداد القاريء اقتناعاً به وتصديقاً له، ثم يلتفت المرسل التفاتاً ضمائريًّا، وذلك بالإحالة بضمائر المتكلم (الجمعيّة)، نحو (نا) الفاعلين، إذ تطرق المرسل في إخباره إلى وصف معيشة أسرة فاطمة ونظامها اليومي، وما كانوا يعيشون فيه من مستوى اجتماعي متدنٍ، وهو حال هذه الطبقة الكادحة – آنذاك– ومع ذلك كان الأب حريصاً على أنها وأختها يتمّان تعليمهما؛ إيماناً منه بأن التعليم هو المنقذ لهما من هذا الوضع الاجتماعي بكل سوآته.

١– بنك القلق ص٢٠٩

- انتقاء ألفاظ من حقول دلالية خاصة

وهذا الانتقاء الخاص بهذه الطبقة أقرب إلى الأداء العاميّ بيد أنها مصوغة في تراكيب نحوية صحيحة ،ومنها: " كنّا نشرب من الزير – كنّا نطحن قمحنا – نقوم من الفجر نعجن – نخبز خبزنا بأيدينا ". وذلك في إصرار من الكاتب على حضور الجانب الاجتماعي متمثلا في الألفاظ التي يستخدمها هؤلاء المنتمون إلى هذه الطبقة؛ بغية إلقاء الضوء على الملامح العامة لحياة هذه الطبقة مثل: مستوى معيشتهم، والنظام اليومي في حياتهم، واعتمادهم على أنفسهم في كل شيء.كما ألمح الكاتب إلى أهمية الجانب التعليمي لدى هذه الطبقة وإيمانها بأن الخلاص من أوضاعهم المعيشية الصعبة ورقيهم الاجتماعي لا يتأتيان لهم إلا بالتعليم، مستعينا بمفردات خاصة بهذا الحقل – أيضا –نحو (علمنا، المدارس، مدرسة).

ثالثاً: الوظيفة التفسيرية للوصف:

وتتحقق بتوظيف آليات لغوية من شأنها إيضاح المُشْكِل و تفسير إبهامه وتفصيل مجمله . ومن هذه الآليات اللغوية التي تمنح الوصف وظيفة تفسيرية ما يأتي:

- الاستفهام الحواري

وهو هنا الاستفهام المباشر الحقيقي من أحد طرفي الحوار الذي يتطلب جوابا من الطرف الآخر.فهذا هو (شعبان) يحاور(ميرفت هانم) إبَّان زيارتها الأولى لـ(بنك القلق)؛ طامعاً في الحصول على مزيد من المعلومات عنها كما أبرزها الحوار الآتي.

- شعبان : أنت دائماً مع خالتك ... يظهر أنك تحبين خالتك كثيرًا .
- مرفت : طبعاً
- شعبان : و طبعاً أولادك .
- مرفت : أولادي ؟! ليس عندي أولاد .
- شعبان : و زوجك ؟

- مرفت : ليس عندي زوج .
- شعبان : لم تتزوجي بعد ؟!
- مرفت : تزوجت مرتين .
- شعبان : مرتين ؟ و ماذا حصل ؟
- مرفت : طلاق .
- شعبان : و تعيشين الآن بمفردك .
- مرفت : مع خالتي ... في منزلنا بالدقي و المنزل به حديقة. و الحديقة بها زهر ياسمين على السور ... وهذا الياسمين أبيض اللون ... عندك أسئلة أخرى.(١)

فتتجلى الوظيفة التفسيرية للوصف في هذا الحوار، القائم بين المتحاورين اللذين يتبادلان دوريهما؛ فيصير كلاهما متكلما و مخاطبا في الآن ذاته. فالسؤال التمهيدي الذي استهل به المتكلم حديثه لم يقصد من ورائه الحصول على إجابة قدر ما يقصده من استدراج المخاطب في الحديث؛ ليتخذ المتكلم ذلك منطلقا للتطرق إلى أسئلة أخرى ،تمس جوهر مراده و مقصده، مثل السؤال عن أولادها وزوجها، و زواجها، و طلاقها و تفاصيل ذلك .

و يلاحظ في هذا الحوار تحقق مبدأ (التعاون الحواري) بين المتخاطبين الذي يقضي بأنه: "ينبغي أن تكون مساهمتك الحواريّة بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة."(٢)و لكن حينما أدرك أحد المتحاورين المقصد الحقيقي للآخر؛ يلجأ إلى العدول عن قواعد هذا المبدأ التعاوني في الحوار ويخرقها، فهذه هى ميرفت تدرك مقصد شعبان مما وجهه إليها من أسئلة مدفوعاً بالفضول، و الرغبة في معرفة مزيد من المعلومات عن حالتها

١- بنك القلق ص١١٥-١١٦

٢- العياشي أدراوي – الاستلزام الحواري في التداول اللساني – ص ٩٩

الاجتماعية؛ فجاء جوابها خارقـاً لقاعدة الكم الحواري[1]،التي تعـد حـدًّا كميًّـا دلاليًّا، القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص أي متحاور من مقدار الفائـدة المطلوبة، تلك التي تتفرع إلى وجهتين:

أ) لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته .

ب) لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب .

وفي هذا الحوار القائم بين (شعبان و ميرفت) لم يأت جـواب المخاطـب على قدر سؤال المتكلم، بل خرق مبدأ الكم الحواري؛ إذ تجاوزه إلى الحديث عـن أشياء قد لا تهم السائل.

تقول مجيبةً عن سؤال شعبان : و تعيشين الآن بمفردك ؟

" مع خالتي..... في منزلنا بالدقي و المنزل به حديقة. و الحديقة بها زهر ياسمين على السور ... و هذا الياسمين أبيض اللون.... عندك أسئلة أخرى"

فإدراك المخاطب للمقصد الحقيقي للمتكلم جعله يخرق مبدأ الكم الحـواري، وزاده معلومات ليس بحاجة إليها ،ليس هذا فحسب بل يزيده معلومات أخرى على سبيل التهكم و السخرية، و الرغبة في اطلاعه على فهم المقصد الحقيقـي مـن كلامه.

وهذا الإطار الدلالي الحواري في بعديه الخطابي و الاجتماعي يهدف إلـى إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب شخصية ميرفت هانم بوصفها شخصـية رئيسة في هذا العمل الأدبي؛ بغية تبئيرها و إمداد القارئ بمزيد من المعلومـات عنها، بوصف هذه الشخصية في بعدها الاجتماعي تمثل الطبقة الغنية، التي بـدت – من وجهة نظر هذا العمل الأدبي– لا تعرف الاستقرار العائلي.

- <u>التركيب الشرطي</u>

كما وظف الكاتب (التركيب الشرطيّ) بوصفه من مفسِّرات الخطـاب التـي توضح مشكله و مُبْهَمه. ففي إطار وصف الكاتب انشغال فاطمة هـانم باهتمـام (شعبان) الزائد بها و عنايته بأمورها و ديمومة السؤال عنهـا و عـن صـحتها

١–العياشي أدراوي –المصدر السابق نفسه.

ومزاجها و حالتها العامة؛ ما جعلها تساءل ذاتها (في حوار داخلي)، ما هو دافعه وراء هذا الاهتمام. ولم تجد إلا سبباً واحدًا، و هو رغبته في استغلالها؛ لاعتقاده أنها غنية. فيستدرك الكاتب ذلك على لسان فاطمة، موّظفاً التركيب الشرطيّ و ما يحمله من مقدمات تفضي إلى نتائج تبرز مقصد المرسل من خطابه، و تعين المتلقي على إدراك ما يجول في ذهن المرسل من دلالات ضمنية، قائلا: "فإذا عرف الحقيقة...إذا عرف أنها لا تملك شيئاً إلا مصروف يد لا يعدو جنيهات قليلة ... تتقاضاه من ميرفت لحوائجها العادية، علاوة على الكسوة السنوية....و هى لا تتعدى بضعة فساتين تفصل لها على هامش فساتين ميرفت العديدة عند خياطتها، إذا عرف أنها ليست أكثر من شبه مربية و حاضنة ممتازة لبنت شقيقتها، و أنه ليس لها مركز في الحياة غير هذا ... إذا عرف ذلك عنها فما هو الشئ المغري فيها؟ "[١] .

نلمح في هذا الإطار الدلالي ذي الحوار الداخلي الذاتي الواصف انشغال فاطمة هانم و حيرتها في إيجاد سبب لاهتمام شعبان بها. كما نلمح توظيف الكاتب لآلية (التفصيل المتدرج للتركيب الشرطي الناقص)[٢] فقد اتخذها منطلقاً لإلقاء الضوء خطابيًّا واجتماعيًّا على جانب من جوانب الحياة الاجتماعية للخالة فاطمة، و هو المستوى الحقيقي لمعيشتها و إمداد القارئ بمزيد من المعلومات عنها و تصحيح المسار الإخباري للخطاب، فربما يتوهم القارئ أن للخالة سلطاناً وهيمنة على ابنة أختها (ميرفت). فهى ذات مكانة اجتماعية ضعيفة، فقد أخذ الكاتب يبرز ذلك مستعيناً بتركيب شرطي ناقص النتائج و مجمل، يصل إجماله إلى حد الإبهام، و تجلى واضحاً في عبارة(فإذا عرف الحقيقة)، إذ لم يذكر جواب الشرط، و لكنه ثنَّى بتركيب شرطي آخر فصَّل فيه جانبا من جوانب هذه الحقيقة ؛ مستعيناً في ذلك بأسلوب القصر بـ (النفي و الاستثناء)؛

١- بنك القلق ص١٧٥

٢- وأقصد به : التركيب الشرطي الذي حذفت نتائجه و جاء متلوًّا بتراكيب شرطية ناقصة، تفصل مجمله شيئًا فشيئًا حتى تصل إلى الشرط و تتم الفائدة .

ليخصص ما تملكه فاطمة هانم بجنيهات قليلة: " فإذا عرف أنها لا تملك شيئـاً إلا مصروف يد لا يعدو جنيهات قليلة "

كما استعان الكاتب بـ (النعوت)؛ لتأكيد آلية التفصيل الشـرطيّ المتـدرج؛ إذ قامت بوظيفتها التركيبية في إطالة الكلام و تفصيل مجمله و تخصيص العام؛ فهو ينعت مصروف يدها بأنه(مصروف يد لا يعدو جنيهات قليلة تتقاضاه من مرفـت لحوائجها العادية).كما وظف تراكيب منفية أسهمت في إضعاف المنجـز اللغـوي لهذا الإطار الدلالي المتمثل في (المكانة الاجتماعية للخالة فاطمة داخل هذه الأسرة الغنية) وتجلت في عبارة (ليست أكثر من شبه مربية و حاضنة ممتـازة لابنـة شقيقتها).

و تشكلت هذه التراكيب المنفية من آليات معجمية رسخَّت الضعف الإنجازي العام للتركيب برُمَّته و منها كلمة (شبه) التي توحي للقارئ أنها لم تصل حتـى إلى مرتبة المربية ربما؛ل أنها لا تتقاضى أجرًا مقابلًا لرعايتها ميرفت كمـا هـى الحال لدى المربيات .

كما وظّف أسلوب قصرٍ آخر بـ(النفي و الاستثناء)؛ ليخصـص مركزهـا الاجتماعي و يقصره على ما ذُكِر فحسب، و يؤكد المحتوى القضوي للتراكيـب السابقة في إحالة إلى ذلك باسم الإشارة (هذا) في عبارة (أنه ليس لها مركز في الحياة غير هذا).

كما أحال إحالة إشارية خطابية باستعمال كلمة (ذلك) مجمِلة للسابق مـن القول في قوله (إذا عرف ذلك عنها) ثم يذكر جواب الشرط في صـورة سـؤال تقريري : فما هو الشئ المغري فيها ؟

فهذا التشكيل اللغوي الذي وظَّف الكاتـب فيـه آليتـي (تفصـيل المجمـل الدلالي)،و(تخصيص العموم الدلالي) يجعـل القـارئ يـدرك بوضـوح البعـد الاجتماعي، الذي يقصده الكاتب من وراء إلقاء الضوء على حياة الخالة فاطمـة التي تنتمي إلى الطبقة الفقيرة. فحين شاء القدر والتحقت بتلـك الأسـرة الغنيـة المالكة، لم يغير ذلك من أمرها شيئًا، و ظلت ذات مركـز اجتمـاعي ضـعيف و مستوى معيشي متدنٍ.

- أسلوب التعليل

كما تجلت الوظيفة التفسيرية للوصف في الأطر الدلالية التي تضمنت تعليلا لمحتوى قضوي ما داخل العمل الأدبي؛ فنرى الكاتب يعلل للمحتوى القضوي في نطاقه الضيق تارة، أو يعلل له مستعيناً بفكرة عامة ثم يخصصها أو يؤكدها بما يناسب دلالة المحتوى القضوي تارة أخرى .

و من الأول قوله: "كانت دقة القدر أو دقة الحظ، عندما طرق الباب فأيقظ الزميلين القاعدين في شبه نعاس؛ ليدخل عليهما ذلك الزبون الذي لم يكن يخطر لهما في الأحلام"(١).

فالتعليل (ليدخل عليهما...) تعليل للمحتوى القضوي الخاص بهذا الإطار الدلالي. فمنير بك عاطف ذلك الوجيه الثري الغني يدخل على الزميلين، اللذين أوشكا أن يصابا بالإحباط؛ لأن البنك الذي أسساه لم يُؤت ثماره المرجوة منه؛ فيعرض عليهما الاشتراك في تأسيسه وينثر عليهما الجنيهات ويخصص مقرًّا جديدًا للبنك؛ فبدأت الحياة تدبُّ فيه.

وكذا في موضع آخر يقرر منير بك عاطف أنَّ الثورة المباركة تنفخ في قربة مقطوعة؛ مفسِّرًا ذلك بعدم قدرة الفلاحين على الإنتاج"، ثم يلتفت إلى متولي، ويهمس في أذنه أن الثورة المباركة تنفخ في قربة مقطوعة؛ لأن الفلاحين غير قادرين على الإنتاج"(٢)ومن الثاني قوله:" فما الذي حدث؟ طبعاً ما حدث معروف؛ لأن التاريخ موجود يشهد أن كل شيء عاد إلى ما كان عليه"(٣)

فها هو أدهم سليمان يشرد بفكره و هو واقف في شرفة الشقة الجديدة، التي خصصها منير بك لتكون مقرًا للبنك مخاطباً ذاته في حوار داخلي مقررًا أن بعد ثمانين عامًا لن يكون أحد من هؤلاء المزدحمين في الشارع موجودًا، لا في هذا الشارع ولا في أي شارع آخر في العالم كله، ثم يعمّق وصفه و يقفز بذهنه

١- بنك القلق، ص٨٢
٢- بنك القلق، ص١٢٥
٣- السابق، ص٨٦

إلى صورة ذات مدى بعيد صورة نوح و سفينته. لقد حدثت مرة حالة تفريغ و تجديد سريعين هائلين، جاء الطوفان فجرف الناس جميعاً دفعةً واحدة و قذف بجيل جديد مصفى إلى حياة جديدة. فقد فسر التغيير الحادث بالعالم وعلله بفكرة عامة و هى (وجود التاريخ)، ثم يؤكد الفكرة و يخصصها ذاكرًا وظيفة التاريخ بوصفه شاهدًا على عودة كل شئ إلى ما كان عليه قبل طوفان نوح عليه السلام.

كما علل أدهم لكلامه بفكرة عامة في الحوار الدائر بينه و بين الزائر و هو صاحب الشقة الذي قدم لمطالبته بالإيجار المتأخر، فقد سأله عن جدوى فكرة هذا البنك و مدى فائدتها قائلا :

الزائر : و هل هذا عمل رائج ؟

أدهم: جدًّا ؛ لأن القلق منتشر. كل شخص عنده ناحية قلق من شئ...."[١].

فإجابته عن سؤال الزائر جاءت مصحوبة بتعليل بفكرة عامة، وهى انتشار القلق، ثمَّ يؤكد عموم هذه الفكرة و يفصلها ببيان أن كل شخص لديه قلق من شئ ما في حياته، ويضرب مثلا بمخاطبه نفسه، "أنت مثلا أليس عندك قلق؟"

رابعاً : الوظيفة الإشارية للوصف:

و تتحقق هذه الوظيفة الإشارية للوصف في العمل الأدبي إذا ما اتجه الوصف إلى فكرة ما أو موضوع أو رسالة يود المرسل إيصالها إلى متلقيه، وهى ذاتها الوظيفة العامة للغة، و هى التعبير عن الأفكار التي تحقق التواصل الاجتماعي بين الأفراد .

وفي هذا العمل الأدبي برزت الوظيفة الإشارية للوصف واضحة في رسائل زبائن بنك القلق وشكاواهم التي وجّهوها إلى أدهم سليمان؛ طمعاً في إيجاد حلول لها.

فها هو الزبون الثاني الذي أبدى إعجابه – أولا- بوجود جهة مختصة بالقلق وعلاجه، ثم أخذ بعد ذلك في عرض أسباب قلقه قائلا:"....الواقع أنا في غاية القلق. لا بسبب حالة خاصة، بل للحالة العامة التي نعيشها. هذه الرجعيّة

١- بنك القلق، ص٤٧

التي حولي، وهذا المجتمع الرجعيّ الذي أتنفس فيه...تصور سيادتك....ولابد أنك لاحظت.. أبسط شيء....برامج الإذاعة والتليفزيون مثلا....تصطبح فيها على شيخ مطمطم وتمسي فيها على شيخ مطمطم.....ونسمع ونشاهد بين كل فقرة وفقرة ندوات وموضوعات ومناقشات دينية أكل عليها الدهر وشرب[١].

- أدهم: ولكن الدين ضروري لهذا المجتمع
- الزبون٢: التقدم أيضا ضروري . وما يقلقني هو أني أشعر أني لا أعيش في مجتمع تقدميّ بالمعنى الحقيقي.
- أدهم: هذا شعورك؟!
- الزبون٢: وأنت سيادتك ألا تشعر نفس الشعور؟
- أدهم: أحيانـــاً. لكن على كل حال المسألة لا تدعو إلى القلق"(٢)

فيهدف الكاتب من الفكرة العامة المهيمنة على هذا الإطار الدلالي إلى إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية، وهو تعدد الاتجاهات والمعتقدات الفكرية، وتنوعها في المجتمع. فالكاتب يشير إلى تلك الفكرة في وصفه للقلق الذي انتاب الزبون الثاني لبنك القلق. فهو قلِقٌ من الحالة العامة التي نعيشها، حيث يعتقد اعتقادًا أن البرامج الدينية والمناقشات التي تعرض في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة قد أكل عليها الدهر وشرب ولا جدوى من عرضها؛ فهي سبب في رجعية المجتمع وتحول دون تقدمه ورقيّه، وقد استعان الكاتب بالآليات اللغوية المنظمة لخطابه، التي تعين المتكلم على إيصال فكره

١- هو مثل يضرب لمن طال عمره . يريدون كأن الدهر البطيء قد أخذ وقته دهرًا طويلا في الأكل والشرب، ومن أقدم النصوص الأدبية التي وردت بها هذه العبارة ما جاء في شعر " امريء القيس" في قوله:

دار حيّ بدلت من بعدهم ساكن الوحش وللدهر عقب
عقَّب الدهر بهم فانتجعوا أكل الدهرُ عليهم وشرِب

ـــ ديوان امريء القيس- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٤- دار المعارف- القاهرة ١٩٨٤م – ص٢٩٣، و انظر –أيضا-: مجمع الأمثال للميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) – المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية ومؤسسة الطبع والنشر التابعة لها ، ٧٥/١.

٢- بنك القلق ص١٣٤-١٣٥

ومعتقده واتجاهه إلى قارئه؛ ليشاركه الرأي؛ فيتفاعل مع خطابه سلبـاً إن كـان من معارضي هذا الفكر أو إيجابـاً إن كان من مؤيديه.

فمن هذه الآليات اللغوية الداعمة لهذا التوظيف الوصفي ما يأتي:

- توظيف وحدات معجمية ذات كثافة دلالية عالية؛ نحو ما جاء في عبـارة (في الواقع أنا في غاية القلق)، التي استهلّ بها المرسل خطابه اسـتعان بعبـارة (في الواقع) التي تعد مقويًّا خطابيًّا معجميًّا تزيد الخطاب مصـداقية ،ومـن ثـم يتفاعل المخاطب معه سلبـاً أو إيجابـاً باقتناع ورضا نفس.

- كما وظّف الوحدة المعجمية (غاية) مضافة إلى كلمة(القلق) بما فيها مـن كثافة دلالية تصل إلى الذروة؛ وهذا الكم الدلالي المكثف مـن شـأنه أن يجعـل المخاطب ينتبه ويعي ويدرك ما ينبغي التركيز عليه.

- توظيف (الإشاريات)؛ إذ أحال بضمير المتكلم الإفرادي المنفصـل (أنـا)؛ ليؤكد للمتلقي أن الآتي من القول منسوب إلى المتكلم –نفسه– وليس منسوبا إلى غيره؛ وهذا أدعى إلى صدق القول، ومن ثم يلقى قبولا لدى المتلقي، كما أحـال باسمي الإشارة (هذه – هذا) في عبارتين متقاربتين دلاليًّا، هما: (هذه الرجعيـة التي حولي)، (هذا المجتمع الرجعي الذي أتنفس فيه). وهما عبارتان تحملان في طياتهما اللفظية تكرارًا دلاليًّا ؛ بإعادة المعنى مع اختلاف الصياغة؛ ليؤكد كراهيته للرجعية التي تحيط به من كل مكان، حتى غدا يتنفسها.

فهذا التوظيف اللغوي المجمل ذو الكثافة الدلالية يومىء إلى اقتناع المتكلم بمذهبه ومعتقده ويقتنع به؛ طالبـاً منه أن يستحضر في ذهنه ويتصور ويلاحـظ ما يحدث في برامج الإذاعة والتليفزيون ؛ موظفـاً ظاهرة(الالتفات الضمائري)؛ فالمتكلم يخاطب متلقيه بضمير المخاطب الإفراديّ في التراكيب الفعليّة (تصوّر – لاحظت – تصطبح – تمسي)، ثم يعدل عنه إلى ضـمير المـتكلم الجمعـيّ فـي التراكيب (نسمع – نشاهد)؛ بغية الانتقال من عنصر الذات إلى نطـاق المجتمـع كله، وإقناع المخاطب أن المشكلة – التي لاحظتها أنـت واستحضـرها ذهنـك، وتعيشها صباح مساء– ليست مشكلتك الخاصة، بل هي مشكلة كـل المسـتمعين

والمشاهدين لهذه البرامج. والالتفات –هنا– له من عظيم الأثر الدلالي ما لا يخفى، فإذا كان التعريف المطلق للالتفات هو صرف الشيء عن جهته الأصيلة، والتحول عن ضميره الذي هو له إلى آخر؛ فإن الالتفات –هنا– له طابع خاص؛ فهو ليس صرفا للشيء عن جهته بالكلية؛ وإنما هو تأكيد ضمني لاتفاق الحس بالواقع المعيش بين المخاطب ومن يعيش معه على أرض مجتمعه، ويساق التقرير على لسان المتكلم في رغبة منه لتأكيد الرجعية التي يشعر بها هو في مجتمعه، ثم يقذف بهذا الشعور عبر ضمير المخاطب أولا؛ ليتجاوز قرابة التكلم، إلى بعد الخطاب، ثم يعود به إلى عمومية الخطاب وشموليته باستخدام ضمير الجمع، الذي يشمل المتكلم والمخاطب ومن في حكمهما من الغائبين الذين يشاركونهم الحياة داخل هذا المجتمع.

وهذا يعد امتدادًا دلاليًّا تفصيليًّا لعبارتي (لا بسبب حالة خاصة)، (بل للحالة العامة التي نعيشها). فهذا التنوع الضمائري والعدول من الإفراديّ إلى الجمعيّ أكسب الدلالة تعميمًا؛ حيث تجاوز الذات إلى المجتمع كما منح الإطار الدلالي تماسكًا دلاليًّا، من شأنه جذب انتباه المخاطب و استرعَاؤُهُ ، ومن ثم يقتنع بالفكرة.

كما وظَّف المرسل(العدول الأسلوبي) ؛ فقد عدل عن هذا الأسلوب التقريريّ إلى المجازي؛ حيث انتقل بالدلالة من المجال المعنوي إلى الحسيّ في عبارة (أكل عليه الدهرُ وشرب)؛ فهذه البرامج والمناقشات التي تعرض صباح مساء طال عليها الزمن حتى بليت وتهالكت؛ فهو تضمين مَثَلي ،يهدف من ورائه إلى إقناع مخاطبه بأن هذه البرامج لم تعد تساير العصر، ولم يعد المجتمع بحاجة إليها.

فهذه الآليات اللغوية دعَّمت سلطة الخطاب وقوَّتها ورسختها غير أنها لم تستطع زعزعة الفكر والمعتقد الاجتماعي والمذهبي للمتلقي؛ فيستدرك عليه رافضًا – ضمنيًا–فكره ومعتقده، ومقررًا أن الدين ضروري للمجتمع. بيد أنّ الشاكي أصرَّ على أن المجتمع يحتاج إلى التقدم والرقي أكثر من احتياجه إلى

الدين، وظل المتحاوران في شدٍ وجذب حتى اضطر أحدهما؛ وهو(أدهم سليمان) إلى إظهار التضامن مع الطرف الآخر؛ ليس اقتناعاً بمذهبه، بل رغبة في إنهاء الحديث؛ فضلا عن اقتناعه بأن هذه المسألة لا تدعو إلى القلق؛ فالبعد الاجتماعي للدلالة العامة لهذا الحوار الواصف تومىء إلى أن مثل هذه الأفكار والمعتقدات – آنذاك– أقوى من سلطة الخطاب ومن كل محاولات الإقناع اللفظية.

والحال هذه مع الزبون الثالث للبنك؛ فقد استطاع الكاتب على لسان هذا الزبون أن يوصل للمتلقي فكره ومعتقده وآراءه؛ فقد دخل على أدهم سليمان ملقياعليه تحية الإسلام، وأخبره بأن اللافتة المعلقة على الشرفة التي تعلن عن وجود بنك للقلق في هذا المسكن قد لفتت نظره ؛فيقول:" قلت أدخل لأزيح عن نفسي الكابوس الجاثم على صدري

- أدهم: الكابوس؟

- الزبون٣: نعم. هذا الإلحاد المتفشي في البلد.....أنا كل يوم أستيقظ في الفجر أتوضأ وأصلي وأستغفر الله لهذا المجتمع الملحد، الذي نعيش فيه. هذا الجو المتحلل الذي نتنفسه . حتى استبدَّ بي القلق على مصير هذه الأمة المؤمنة....تصوّر يا سيديّ الإذاعة مثلا.....بين كل أغنية وأغنية أغنية.....وانظر إلى التلفزيون تجد كل مذيعة ومذيعة وكل مطربة وراقصة مثل لهطة القشدة، والعياذ بالله، ما هذه المغريات يا أخي.....إلى أين نحن مساقون؟

- أدهم: أنت فيما يظهر رجل شديد التدين.

- الزبون٣: جدًّا . وأشعر بمنتهى القلق على مستقبل الدين.

- أدهم: الدين بخير يا سيدي. اطمئن

- الزبون٣: اطمئن؟! كيف يمكن الاطمئنان والبلد بهذا الحال؟ لابد من عمل حاسم.

- أدهم: عمل حاسم؟!

- الزبون٣: عمل قوي يزيل من على وجه الأرض هذا الضلال .إنَّ نار الله الموقدة يجب أن تصب صبًّا على مجتمع بهذا الفجور والإثم والكفر المبين.....

- أدهم: يا ساتر!

- الزبون٣: هذا هو القلق الذي عندي وعند كافة المؤمنين....وأنت لاشكَّ منهم، أليس كذلك؟

- أدهم: طبعـاً. لكن.....على كل حال شئون الدين من اختصاص الحجـرة رقم اثنين.....تسمح تشرف هناك!"[١].

فقد هدف الكاتب من هذا الإطار الدلالي إلى إبراز التعصب للمعتقد الفكـري والحزبي والسياسي ومداه العميق عند معتنقيه،وقد حدَّد شكل الخطاب أو التشكيل اللغوي له درجة هذا التعصب وذلك عن طريق ما يأتي:

- توظيف المتكلم للوحدات المعجميّة ذات الكثافة الدلاليّة العاليـة؛ لتقويـة الدلالة العامة المهيمنة على هذا الإطار الدلالي، وذلك فـي كلمـات (الكـابوس- الجاثم – المتفشي)،وكذا كلمة(المجتمع) التي أضافت إليها ملمحـاً تمييزيًّـا ؛ خصّص دلالتها وذلك في وصفه بـ(الملحد) في المركـب الوصـفي (المجتمـع الملحد)، وفي هذا كثافة دلالية أبرزت (إستراتيجية الوظيفة المزدوجة للوصـف)؛ فقد انضوت الوظيفة التعبيرية للوصف تحت الوظيفة الإشارية؛ لتعضـيد الفكـرة وإظهارها وإعانة المتلقي على إدراكها. فالعلاقة بين طرفي الخطـاب (المـتكلم- المخاطب) تخلو من تواصل مسبق بينهما؛ لذا فرضت القواعد التخاطبيـة علـى المتكلم استعمال ألفاظ وتراكيب تبرز مقصده وآراءه، وتخـدم الدلالـة المـراد إيصالها إلى المخاطب؛ حتى يتسنى له إدراك المقاصد الكلاميّة للمـتكلم ومعرفـة اتجاهه الفكري؛ فوظَّف تراكيب مثل(أستيقظ في الفجر – أتوضأ- أصلي – أستغفر الله – الأمة المؤمنة – مستقبل الدين – هذا الضلال- الإثم والكفر المبين – نـار الله الموقدة – العياذ بالله)؛ فهي ألفاظ وتعابير تنتمي إلـى حقـلٍ دلالـي واحـد وتوميء إلى اتجاهه الفكري والمعتقدي.

- كان للإشاريات وظيفة بارزة في الربط النصيّ والاستمرارية الدلالية لهذا الإطار الحواريّ. فقد أحال الكاتب بضمير المتكلم الإفرادي المنفصل (أنا)، وكـذا

١- بنك القلق ص١٣٦-١٣٧

الضمير المستتر (أنا) في التراكيب الفعلية(أستيقظ – أتوضأ – أصلي – أستغفر– أشعر) ؛ فالمتكلم هنا هو السارد والقاص والواصف والمشير بعباراته –تلميحًا وليس تصريحاً – إلى فكره، ومعتقده، وهذا أدعى لمصداقية الخطاب ومن ثم اقتناع المخاطب بكلامه.

- كما استعان الكاتب بـ(الأسئلة التقريريّة) التي تشد انتباه متلقيه وتسترعيه؛ في محاولة منه لإقناعه، كما ورد في الحوار الآتي:

- ما هذه المغريات يا أخي؟

- إلى أين نحن مساقون؟!

فعند النظر إلى الإطارين الدلالين السابقين اللذين تضمنا اتجاهين فكريين متعارضين من آراء متعددة ذكرت في هذا العمل الأدبي، يلحظ أن علاقة المتكلميْن بالمخاطب تخلو من تواصل مسبق؛ لذا اعتمدا على سلطة الخطاب أو التشكيل اللغوي؛ ليتمكنا من التعريف بهما، وإلقاء الضوء على معتقدهما أو فكرهما، وكل منهما قد اجتهد في إيصال آرائه إلى المخاطب باستعمال ألفاظ ذات كثافة دلالية عالية، وكل منهما أشار إلى ذاته وأحال إليها بضمائر المتكلم الإفراديّة، وكلاهما ألقى الضوء على وسائل الإعلام؛ فهي من وجهة نظرهما كثيرا ما ساقت ما يتعارض مع فكرهما، وعرضت ما لا يتوافق مع آرائهما.

والمتلقي أو المعالج لقلقهما (أدهم سليمان) يحاول إظهار التضامن مع الطرفين غير أنه أخفق في إظهار تضامنه مع الزبون الثالث؛ وذلك لأسباب خرقت قواعد الخطاب الإقناعي؛ فحالت دون إقناع المخاطب، ومنها:

- إعلاء (الأنا) لدى المتكلم الذي صنع من نفسه شخصاً واحدًا مدافعاًعن الدين، و عدَّ نفسه من سَدَنته، والمجتمع بأسره في نظره كافر وآثم .

- إعلاء النغمة الصوتية لجزء من خطابه الذي هو محط عنايته واهتمامه؛ بغية إثارة انتباه المخاطب وتوجيه ذهنه وذلك في قوله:" لابد من عمل قوي يزيل من على وجه الأرض هذا الضلال، إن نار الله الموقدة يجب أن تصب صبًّا على مجتمع بهذا الفجور والإثم والكفر المبين" ؛وهي نغمة تتسم بالشدة والقسوة ؛

فالمتكلم هنا لم يحسن اختيار العلامة اللغوية الملائمة التي تحقق منفعته الذاتيـــة، وتنقل أفكاره بكفاءة إلى متلقيه.[١]

خامسـاً: الوظيفة الإقناعية للوصف:

الوظيفة الإقناعية للوصف هي التي تتحقق للوصف الذي يتضمن الحجـــج المنطقية والعقلية والنقلية والاستشهاد بالواقع المعيش، ولا يشـــوبها فـــرضٌ ولا هوى ولا قوة، وذات تأثير أقوى وأوقع وأثبت في المتلقي.وقـــد تجلـــت براعـــة الكاتب في توظيف الوصف؛ لإقناع متلقيه؛ مستعينـــاً في ذلك بما يمكن تســـميته بـــــ(السُلميّة الإقناعية)؛ فهو يتدرج مع مخاطبـــه بالأدلـــة والبـــراهين؛ فيبـــدأ بتوظيف المسار القيميّ للوصف موضحـــاً لمخاطبه وجهة نظره فيه، وهذا أدعى لتوثيق علاقتيهما؛ ومن ثمّ يتمكن المتكلم من إقناع المخاطب.

فها هو الزبون السادس لبنك القلق الذي جاء شاكيـــاً أزمة إتقان العمل في مصنعه وما يعانيه مع زملائه فاقدي الذمة الذين لا يهمهم غير الأرباح، وهو في حيرة من أمره، أيسكت ويظل الإنتاج ينخفض مستواه أو يشكو زملاءه؛ فيكون قد وشي بهم؟

فيبدأ المتكلم بأولى السلميّات الإقناعيـــة؛ مستعينـــــاً بالوظيفـــة القيميّـــة للوصف، يقول أدهم:"اسمع ....أنت رجل منتج.....وتفهم في الإنتاج.....ومستوى الإنتاج أكثر مني".ثم ثنَّى بالوظيفة الشخصية [٢]للوصف، أو ما يسمى فـــي علـــم الخطاب بالمكاشفة[٣] وفيها يكشف المتكلم عن أشياء من شخصيته للمخاطب وهذا أدعى لتوطيد العلاقة بينهما، كما يمنح المتكلم مصداقية لدى مخاطبه، كما جـــاء قوله:".....أنا شخصيًّا ليس لي أي قيمة إنتاجيّة.....أنا أقرب إلى أن أكـــون مـــن العاطلين، من الكسالى، من الطفيليات....نعم أنا، ولا يغرَّك أني جالسٌ إلى مكتب

١- انظر: استراتيجيات الخطاب – عبد الهادي الشهري ص٤٥

٢- انظر: د/ محمد حسن عبد العزيز - علم اللغة الاجتماعي – ط١- مكتبة الآداب – القاهرة ٢٠٠٩م – ص٩٤

٣- استراتيجيات الخطاب ص٣٠٢

وأمامي تليفون....."؛ فكشْفُ المتكلم ذاته والتصريح بصفاته أحد عناصر التضامن مع المتلقي والثقة به والتقرب إليه، وهاتان الوظيفتان الفرعيتان(القيميّة – الشخصيّة) قد وظفهما المتكلم لوصف ذاته ووصف مخاطبه؛ تمهيدًا لإقناعه بما يود أن يقنعه به، كما عضّد المتكلم إنجازه اللغوي بمقويات لغوية تدعمه وتمنحه مصداقية وتزيل ما لدى المخاطب من تردد ما يزال قائماً. و قد برز واضحاً في الاستفهام التعجبي في قوله: "أنت يا سيدي؟!" وفي النهي الإنكاري التعجبي:" لا تقل هذا!"

ومن هذه المقويات اللغوية–أيضا–:

- الإحالة بالإشاريات الضمائرية ولاسيما ضمير الحضور للمتكلم الإفرادي المنفصل والمتصل، فضلا عن تأكيد الإنجاز اللغوي وتقويته بضميمتي الإيجاب، وحضور المتكلم في قوله:(نعم أنا)، وكذا الضمائر المتصلة في (أني – أمامي) وهذا الحضور الآني أدعى للتصديق.

- كما استعان المتكلم بمقويات معجمية تدعم كلامه وتقنع المخاطب وتزيده مصداقية وثقة، وهي كلمة (الواقع) في عبارة (أنا في الواقع)، ثم يتدرج المتكلم مع مخاطبه إلى درجة إقناعيّة أعلى موظفاً آليات منطقية عقلية تتضمن أرقاماً، وأدلة نقلية تتمثل في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف الذي سبق للمخاطب (الزبون٦) إيراده في حواره وعلى لسانه؛ وهذا أدعى إلى صدق الحوار ومنح المتكلم ثقة تجعل المخاطب ينتبه إلى حديثه، ويُعنى به ويتضامن معه، يقول:" ستين في المائة من السكان لا يفعلون أو على الأقل لا ينتجون إنتاجاً حقيقيًّا ويعيشون على جيب الأربعين في المائة الأخرى ومن هذه الأربعين في المائة خمسة في المائة معهم نقود ولا عمل لهم إطلاقاً يتبقى خمسة وثلاثون في المائة يعملون وينتجون. منهم خمسة وعشرون في المائة ينتجون بغير إتقان.....يكون الباقي أخيرا بعد كل ذلك عشرة في المائة فقط من السكان هي التي تعمل وتنتج بإتقان.

- الزبون: عشرة في المائة فقط؟

- أدهم: فقط عشرة في المائة هي التي ينطبق عليها الحديث الشريف الذي ذكرته أنت الآن:" إن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه"

- الزبون٦: هذا غير مصدق!"

مع هذه الدرجة الإقناعية مازال المخاطب مترددًا ومتعجبـــاً مـــن حـــديث المتكلم الذي يدرك تردد مخاطبه في تصديق حديثه؛ فيصل بمخاطبه إلـــى درجـــة إقناعية أعلى، وهي ذروة السلم الإقناعيّ وقمته وتتمثل في (التمثيل من الواقـــع المعيش)، يقول:" لكن خذ عندك مثلا هذه الشقة التي نحن فيها إنها تحتوي ثلاث حجرات فيها ثلاثة أشخاص يمكن أن تقول إن إنتاجهم للبلد صفر في المائة فـــإذا مررت على كل شقق هذه العمارة وتحريت عن سكانها ما وجدت أكثر من عشرة في المائة ينتجون بإخلاص وإتقان والباقي عالة عليهم، أو يعملون أعمالا تافهـــة غير منتجة، أو على قدر المزاج . حتى بواب العمارة تراه يعمل ســـاعة ويـــزوغ ساعتين إلى المقهى المجاور يشرب الشاي ويدردش كلمتين!"

فقد حقق المتكلم الهدف من حواره؛ فأقنع مخاطبه وجعله يتضـــامن معـــه، ليس هذا فحسب؛ بل شغل فكره بمحاولة إيجاد حلول لهذه المشكلة وشاركه فيها

- الزبون٦: لكن هذه النسبة يجب أن ترفع

- أدهم: إذا رفعت هذه النسبة....ولو عشرة في المائة أخرى....فإن بلادنـــا تتغير....تغيرًا حقيقيًّا...لا يمكن تصور مداه ولا مستواه.

- الزبون: أزمتنا إذن أزمة إتقان.وأزمة أخلاق"[١]

بالنظر إلى ما سبق وفي ضوء العرض السابق لهذا الإطار الدلالي الإقناعي الواصف، نلاحظ أن المتكلم تمكن من إقناع مخاطبه مستعينـــاً بالتـــدرج الســـلميّ الإقناعيّ حسبما اقتضته حالة المخاطب وحاجته إلى الإقناع.

ويلفت الانتباه تلك التنقلات المحسوبة المدروسة للحوار الإقناعي، بخطواته التي جاءت مرتبة على نسق محسوب، بحيث لا يصح أن تسبق خطوة تابعة منها سابقتها، فأولاها: استماع وإنصات للوصف المسوق على لســـان المـــتكلم الأول

١- بنك القلق ص١٦٣

(الزبون) للوقوف على ما عنده، وثانيها: الدمج أو الإدماج أو الانـــدماج، وهـــو الذي بدا من (أدهم) حين استخدم ضمير المتكلم؛ ليقحم نفسه في هذه المعركـــة الجدلية الإقناعية، فيسوق الوصف على لسانه هو، ليصبح مصدرا له ولأحكامـــه، وليس مجرد متلق له، ثم يترقى به للمرحلة الثالثـــة: وهـــي مرحلـــة التـــدليل، ويخوضها بخطوتين محسوبتين أيضا؛ لا يصح أن تسبق الثانية منهمـــا الأولـــى؛ والأولى: حديث وتقويم للمجتمع والبلد بشكل عام – نسبة من يعملون في البلـــد ومن يتقنون– وهي مرحلة قابلة للتشكك من المخاطب؛ لأنه قد يشك فـــي كـــون المتكلم (أدهم) قد قرأ المجتمع قراءة صحيحة، وأحاط بهذه النسب بشكل يقينـــي، ولذلك تبعتها الخطوة الثانية: وهي التمثيل بما هو أقرب وأخص، وبمـــا لا يشـــك المخاطب في أن المتكلم على دراية كافية به؛ فيصرف الوصـــف إلـــى العمـــارة والشقة التي يقطنها، لينتهي منها إلى نسب ونتائج إنما هي فـــي ذاتهـــا تكـــرار ضمني للنتائج التي كانت في المرحلة التي تسبقها – عند حديثه عن البلد بعامـــة وموظفيها – لينقل الوصف من العام إلى الخاص، محققا الإقنـــاع الـــذي يرومـــه ويقصده من بداية حديثه.

وقد أظهر التشكيل اللغوي البعد الاجتماعي له، وقد سبقت الإشارة إليـــه؛ فقد ألقى الكاتب الضوء على ما ينتاب بعض قطاعات الدولة من أزمة إتقان وأزمة أخلاق من بعض عامليها في المؤسسات، مما جعل الإنتـــاج يـــنخفض مســـتواه، وحالت دون التغيير الحقيقي المنشود في البلاد في تلك الفترة.

الخاتمة:

بالنظر إلى ما سبق وفي ضوء العرض التحليلي السابق للأُطُر الدلالية الواصفة؛ أسفرت الدراسة عن مجموعة من **النتائج**، أبرزها ما يأتي:

- نهض الوصف في هذا العمل الأدبي بعبء التعبير عن حصيلة ما يدركه المرسل عن مجتمعه؛ مستعينًا في إبراز مدركه بآليات لغوية وبلاغية متنوعة أظهرت البعد الاجتماعي للوصف.
- أثبتت هذه الدراسة أن الخطاب الأدبي لا يمكن تحليله بوصفه لفظًا مستقلا، بل بوصفه ممارسة اجتماعية وتفاعلا موقفيًّا.
- تنوع الآليات اللغوية وتعددها وتلاحمها في الوقت ذاته؛ لتقوية المنجز الخطابيّ تارة، أو لإضعافه تارة أخرى تبعًا لما يقتضيه السياق، ووفقًا لأبعاده التحليلية اللغوية النصية والتداولية والخطابية، على حدٍ سواء، وذلك لإبراز البعد الاجتماعي للوصف، الذي يرمي الكاتب إلى إيصاله إلى المتلقي؛ فاستعان بالروابط اللفظية وأدوات الإحالة، والإشاريات، والحذف، والتكرار الدلالي، وكلها آليات لغوية من شأنها إحداث تماسك نصيّ واستمرارية دلالية، كما وظف التراكيب الفعلية في معرض وصفه للأحداث وتواليها وحركاتها المستمرة، واستعان بالمركبات الاسمية؛ ليعبر بها عن ثبات الأشياء وجمودها ورسوخها، واستعان بالمركبات الجزئية، مثل: المركب الوصفي؛ حيث يعد من آليات إطالة الكلام لفوائد مقامية، فضلا عن وظيفته في تخصيص الدلالة وتحديدها وتضييقها.
- ظهرت براعة الكاتب –أيضا– في انتقاء ألفاظ تجمعها حقول دلالية تناسب الطبقة الاجتماعية، التي ينتمي إليها المتكلمون، كما وظّف المجاز، فكان أداته لانتقال دلالة الألفاظ من المجال الحسي إلى المعنوي؛ فعدل عدولا أسلوبيًّا من اللغة التقريريّة إلى اللغة المجازيّة لأغراضٍ سياقيّة، وهو ما تمت الإشارة إليه في سياق عرْضِ محتوى البحث، كما تمت الاستعانة في بعض الأطر الدلالية بوحدات معجمية ذات كثافة دلالية عالية تخدم مقصده وتبرزه.

•وظف الكاتب التركيب الشرطي بوصفه من آليات التفسير الخطابي؛ معتمدا على آلية (التفصيل الشرطي المتدرج)، كما اعتمد على أسلوب التعليل، وكذا الاستفهام وجوابه، وكلها آليات مفسّرة وموضحة للخطاب.

•كذلك برع الكاتب في توظيف الانفعالات الاندهاشية، وإعلاء النغمة الصوتية بصورة متوائمة تخدم السياق وتمنحه دلالة خاصة.و عزز ذلك – أيضا- بالاعتماد على آليات لغوية خطابية؛ لإقناع مخاطبه، ومنها: المكاشفة، وتأنيب الذات الفردية والسُلميّة الإقناعية، كما استعان بالتضمين ؛ ليقنع مخاطبه؛ فضمَّن خطابه الأحاديث النبوية الشريفة، وآراء بعض المفسرين المسلمين، كما وظّف الأرقام والنسب.

•أبرز الوصف بعض الأبعاد الاجتماعية التي ألقى الكاتب الضوء عليها بلغة تلميحيّة، ومنها:

⇐حال التعليم والمنظومة التعليمية وأثرهما في المجتمع في الفترة التي أعقبت ثورة١٩٥٢م.

⇐تعدد الاتجاهات الفكرية والحزبيّة وتنوعها وأثر ذلك في المجتمع وانقسامه.

⇐ظهور المتلونين من أصحاب الطبقة الغنية، الذين يتغنون بالثورة وأمجادها، بيد أنهم يبطنون غير ذلك؛ خشية المساءلة و البطش.

⇐إلقاء الضوء على تلازميّة الملكية والنزاع المجتمعي؛ فهو يؤكد ضرورة إزالة الطبقية المجتمعية؛ ليدعم ويؤيد قرارات الثورة آنذاك.

⇐التفاوت الطبقي الحاد في المسكن أو العمل أو المأكل بوصفها –جميعا- من محددات مستوى معيشة الطبقتين اللتين اتسعت الهوة بينهما؛ فانقسم المجتمع إلى ما يشبه الأسياد والعبيد.

⇐كما ألقى الضوء على أزمة الأخلاق، وما ترتب عليها من أزمة إتقان العمل التي يعاني منها المجتمع، وأثرها في فساد المجتمعات وتدهورها وتخلفها.

⇐وألقى الضوء كذلك على الحالة النفسيّة التي يمرُّ بها أفراد المجتمع آنـذاك؛ وهي حالة القلق الدائم؛ الذي بات يراود أكثر الناس، مع الوقوف على طبيعة شيوعه و أسبابه.

• قام الوصف بوظيفة فاعلة في هذا العمل الأدبي؛ حيث أعان الكاتب على تحديد الأوصاف المادية والمعنوية لشخصياته، كما أعانه على وصـف الأحـداث والأماكن وصفـاً دقيقـاً مُفصَّلا؛ جعل الرسالة اللغوية تتحول إلى مشهدٍ حركـي يبعث انفعالات حية في ذهن المتلقي.

•تعددت إستراتيجيات الوصف داخل هذا العمل الأدبي وتنوعت؛ فقد استعان الكاتب بسلطة الخطاب اللغوية؛ لإبراز طبيعته و أبعاده؛ بغية إقناع قارئه بمقصده بوسائل مختلفة؛ فالتشكيل اللغوي يعدُّ أداة ميّزت هذا العمـل الأدبـي ووجهـت الوصف فيه توجيهـاً صحيحـاً ملائمـاً لمقصد المتكلم وموضحـاً له. ومن أبرز صور هذه الإستراتيجيات و ما حققته:

⇐اتجه الكاتب إلى "تعميم الوصف" وجعله يتجاوز حدود الموصوف إلى نطـاق أوسع وأعم؛ مستعينـاً بآلية (التدرج الوصفي) إذ يتدرج بالموصوف شـيئا فشيئا؛ حتى يصل إلى عمومه؛ ليبرز بعده الاجتماعي.

⇐كما اتجه في مواضع أخرى إلى "تعميق وصفه" والرجوع بالفكرة إلى نطـاق زمني أبعد ؛ بغية تأصيلها وتجذيرها ؛ فظهر دور المحدد الزمني جليًّا؛ ليعين المتلقي على إدراك مقصد المتكلم، وقد برز ذلك واضحـاً فيمـا يتعلـق بالاتجاهات الفكرية والحزبية المتنوعة داخـل الأسـرة الواحـدة أو داخـل المجتمع على حدٍ سواء.

⇐كما وظّف الكاتب إسترتيجية التقابل في صورة الموصوف؛ حيث استند إلـى الجانبين المتناقضين للصورة الواحدة؛ لتبرز كل منهما الأخرى، وهذا أدعـى إلى تقديم صورة واقعية صادقة تعبر عن المجتمع وما فيه من فروق فرديّـة وطبقيّة على المستويات كافة. ويهدف الكاتب من هذا الوصف المتقابل إلـى إعادة صياغة الواقع المجتمعي؛ فيفيد المتلقي من سلبياته ويُشركه معه فـي

محاولة لإيجاد حلول لها،كما يهدف إلى إلقاء الضوء على إيجابياته ويدعوه – ضمنيًّا– إلى التحلي بها، وذلك على مستوى الشخصيات أو الأماكن أو الأحداث على حدٍ سواء. وأعانته السلطة اللغوية التي وظفها في هذا الخطاب الأدبي على إبراز الوجهين المتناقضين للشخصيتين السلبية والإيجابية وأثرهما في المجتمع، كما ألقى الضوء بهذه الإستراتيجية على الأماكن التي يقطنها أصحاب الطبقتين الغنية والفقيرة؛ ليبرز بجلاء التفاوت الطبقي الحاد، والهوة الواسعة والفجوة الكبرى بين طبقتي المجتمع آنذاك ؛ منتقيًّا حقولا دلالية ذات ألفاظ تدعم هذا التناقض وتؤكده.

⇐استعان الكاتب في وصفه لبعض الأحداث بروح الفكاهة والمرح بطريقة مسلية ومشوقة؛ مستعيناً بمستوى أدائي لغوي أقرب إلى المستوى العامي،وقد دعَّم هذه الروح الفكاهية بالتشبيهات الطريفة التي أبرزت فكرته المراد إيصالها إلى المتلقي؛ إدراكاً منه لطبيعة الشخصية المصرية التي تتمتع بروح الفكاهة والمرح؛ فهم أهل نكتة ذوو طبائع ساخرة، حتى في أسوأ ظروفهم المعيشية.

⇐كما تمكّن الكاتب ببراعته الوصفية من توظيف فكرة الربط العلائقي بين شخصيات هذا العمل، وكذا بين أحداثه الرئيسة؛ وقد تجلى فيها البعدان الخطابي والاجتماعي على حدٍ سواء؛ حيث ألقى الضوء على الشخصيات الرئيسة؛ بغية تبئيرها، وتوضيح علاقتها بأسرتها والمحيطين بها وذلك في الطبقتين الغنية والفقيرة على حدٍ سواء. وقد استعان الكاتب بآلية (التلميح الاستباقي للأحداث) ثم يعمد إلى توضيحها وتفسيرها في درج العمل الأدبي؛ قاصدًا من ذلك جذب انتباه المتلقي وإثارة شوقه وتطلعه إلى متابعة الأحداث، ولا سيما فيما يتعلق بالحدثين الرئيسين في هذا العمل الأدبي، وهما: وصف حالة القلق التي كان عليها المجتمع آنذاك، وحدث التقاء أفراد الطبقتين الغنية والفقيرة واجتماعهما في مكان واحد وإذابة الفوارق بينهما،وما ترتب على ذلك من أحداث.

⇐استعان الكاتب بإستراتيجية (التضليل اللغوي أو السفسطة اللغوية)؛ فقد عمد – على لسان شخصياته– إلى تضليل المخاطب بإعطائه معلومات مغايرة ومضللة، ولاسيما في مقام التعصب السياسي أو الحزبي؛ خشية المساءلة؛ فالكاتب في هذه الإستراتيجية أضعف سلطة الخطاب؛ إذ وظّف اللغة بما يخالف واقعها والغرض الرئيس منها، وهو الإخبار عن مقصد المتكلم والتعبير عن غرضه.

•أثبتت الدراسة أن الوصف في هذا العمل الأدبي قام بوظائف اتصالية متعددة ومتنوعة؛ إذ لم يقتصر على وظيفتي التفسير والتحلية أو التزيين فحسب؛ بل تعددت الوظائف، التي حملت كل وظيفة مراما محددا سعت لتحقيقه نحو:

⇐الوظيفة التصويرية؛ فالكاتب أدرك فوصف؛ فبعث الحياة في الموصوف؛ فجعله يُرى ببداهة وبوضوح، كما جعل القاريء متفرجاً يشهد الوقيعة المحكية ويراها رأي العين؛ ما أدى إلى انبعاث انفعالات حية في ذهن المتلقي كما اعتمد فيها على الأفعال الحركية والتشبيهات التمثيلية.

⇐الوظيفة الإخبارية للوصف وفيها يمدُّ الوصف المخاطب بمعلومات عن شخصية ما أو حدثٍ ما؛ بغية التبئير أو إلقاء الضوء، وفيها اعتمد الكاتب على اللغة التقريريّة التي تخلو من المجازات والإنشاء الطلبي.

⇐الوظيفة التفسيرية للوصف وفيها لجأ الكاتب إلى الآليات اللغوية التي من شأنها إيضاح المشكل وتفسير إبهامه وتفصيل مجمله، ومنها: الاستفهام الحواري المباشر الذي يتطلب جواباً مباشرًا وكذلك التركيب الشرطي الذي اعتمد فيه على آلية (التفصيل المتدرج للتركيب الشرطي الناقص)، كما وظّف أسلوب التعليل بوصفه من مفسّرات الخطاب؛ بغية إيضاح المقصود بذكر علته.

⇐كما تحققت الوظيفة الإشارية للوصف حينما وجَّه الكاتب وصفه إلى فكرة ما أو موضوع ما أو رسالة يود إيصالها إلى متلقيه؛ وقد برزت هذه الوظيفة جلية في شكاوى زبائن بنك القلق.

⇐أما وظيفة الوصف الرئيسة في هذا العمل الأدبي؛ فهي الوظيفة الإقناعيّة، التي تمايزت وتنوعت؛ معتمدة على السُّلّمية الإقناعية وآليات إقناعية أخرى لغوية ومنطقية، تم عرْضُها و بيان مظانها في سياق محتوى البحث.

التوصيات :

استكمالا لما عرض من تحليل لإستراتيجيات الوصف و وظائفه و علاقته بسلطة الخطاب و البعد الاجتماعي، و هو ما كان بؤرة المعالجة البحثية -هنا- لزم التنبيه و التوصية بدراسة الوصف في الخطاب الأدبي – الشعري والنثري على حدٍّ سواء؛ دراسة لسانية تطبيقية بوصفه من آليات إقناع المتلقي،و التوجه صوب البعدين الاجتماعي والنفسي في الأعمال الأدبية بمزيد من العناية والاهتمام. و كذلك دراسة الخطاب الأدبي دراسة لسانية تطبيقية في ضوء علم اللغة الاجتماعي.

والله ولي التوفيق

المصادر و المراجع:

- إبراهيم الشيخ – مواقف اجتماعية وسياسية في أدب نجيب محفوظ– مكتبة الشروق – ط٣– القاهرة١٩٨٧م
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ) – البداية و النهاية – تحقيق د. عبد الله بن عبد الحسن التركي – مركز البحوث و الدراسات العربية و الإسلامية – دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع.
- امرؤ القيس – ديوان امريء القيس– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٤– دار المعارف – القاهرة ١٩٨٤م –
- توفيق الحكيم – مسرواية بنك القلق – الطبعة الثالثة – طبعة دار المعارف – القاهرة١٩٧٩م
- ثريا العسيلي – أدب عبد الرحمن الشرقاوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٥م
- الجرجاني (أبو بكرعبدالقاهربن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧٤هـ) –دلائل الإعجاز – تحقيق : محمود شاكر – مطبعة المدني – ط٣ – ١٩٩٢م
- سعيد علوش – معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة– ط١– دار الكتاب اللبناني – بيروت١٩٨٥م
- الشهري –إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) – دار الكتاب الجديد المتحدة – ط١ – ٢٠٠٤م
- الطبراني(الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد ت٢٦٠هـ) – المعجم الأوسط – تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد – عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين للطباعة والنشر– القاهرة ١٩٩٥م
- طه حسين– فصول في الأدب والنقد– ط٤– دار المعارف – القاهرة١٩٦٩
- عبد الفتاح عثمان – بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)– مكتبة الشباب (المنيرة) – القاهرة ١٩٨٢.

- عدنان ج .ر . الجبوري – بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي –اختارها ونقلها إلى العربية–د.محمد العبد – الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – القاهرة – مصر ٢٠١٣م
- العسكري(أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ) – كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر – تحقيق: د. مفيد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د.ط .
- العياشي أدراوي – الاستلزام الحواري في التداول اللساني –ط١ – منشورات الاختلاف – الرباط ٢٠١١م
- قدامة بن جعفر(ابو جعفر قدامة بن جعفر ت ٣١٠هـ) – نقد الشعر – ط١– القسم الأول باب المعاني الدال عليها الشعر – نظارة المعارف – مطبعة الجوائب – القسطنطنية ١٣٠٢هـ
- محمد حسن عبد العزيز – علم اللغة الاجتماعي – ط١– مكتبة الآداب – القاهرة ٢٠٠٩م
- محمد حسنين هيكل – لمصر لا لعبد الناصر – مركز الأهرام للترجمة والنشر – مؤسسة الأهرام – القاهرة١٩٨٧م
- محمد العبد – النص و الخطاب و الاتصال –الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي – القاهرة ٢٠١٤م
- محمود أحمد نحلة – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر – دار المعرفة الجامعية– الإسكندرية ٢٠٠٢م .
- معهد البحرين للتنمية السياسية – معجم المصطلحات السياسية –سلسلة كتب ٢٠١٤م .
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) – مجمع الأمثال – المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية ومؤسسة الطبع والنشر التابعة لها – د.ط.
- نضال محمد فتحي الشمالي – الوصف في الخطاب الروائي و أبعاده التقنية "زياد قاسم أنموذجاً" – مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية – م ٣٣– العدد(١).
- يوسف نوفل– قضايا الفن القصصي– دار النهضة العربية – القاهرة١٩٧٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	الملخص	١٠٠٣
٢	Abstract	١٠٠٤
٣	المقدمة	١٠٠٥
٤	مدخل:	١٠١٠
٥	المبحث الأول: إستراتيجيات الوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعيّ	١٠١٨
٦	المبحث الثاني: الوظائف الاتصالية للوصف بين سلطة الخطاب والبعد الاجتماعي	١٠٥٥
٧	الخاتمة	١٠٧٨
٨	المصادر و المراجع:	١٠٨٤
٩	فهرس الموضوعات.	١٠٨٦

تم بحمد الله